



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة سعيدة - الدكتور مولاي الطاهر

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد عربي قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي موسومة ب:

## الإعجاز البياني في كتاب " درج الدرر " في تفسير الآي والسور لعبد القاهر الجرجاني

بإشراف الأستاذ:

د. طاهر هاشمي

إعداد الطالب:

خلوط محمد

لجنة المناقشة

الأستاذ: معمر زروقي رئيسا

الأستاذ: طاهر هاشمي مشرفا ومقررا

الأستاذ/ الدكتور: محمد رويسات مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

## الدعاء

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنَّك أنتَ العليمُ الحكيمُ﴾

— الآية: 32 من سورة البقرة —

— "اللهم آت نفوسنا تقواها وزكّها أنتَ خير من زكّاها أنتَ وليّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع، ودعوة لا يُستجاب لها".

— "اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت، وشر ما لم أعلم".

— "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفُجاءةِ نِقمتك وجميع سَخَطِكَ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمّن سواك".

— "اللهم لك الحمد ولك الشكر إنَّك أنتَ العزيزُ العليم".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى روح والديّ رحمة الله عليهما.

إلى كل من ساعدني سواء من قريب أو بعيد

في هذا العمل المتواضع.

وبالأخص أستاذي المحترم

— هاشمي الطاهر —

الذي لم يبخل علي بنصائح القيمة وتوجيهاته

النيرة، فجزاه الله عني كل خير.

كما لا أنسى زوجتي العزيزة وأولادي خاصة

إبراهيم.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه، و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه و سلم- و على آله و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن من أسرار القرآن العظيم أنك كلما أبجرت وتعمقت فيه ازدادت شوقاً، وكلما تلوته مسكت لجام نفسك وارتقيت بعقيدتك، وبالتالي التزمت بأوامر ربك وانتهيت عما نهي عنه، لذلك يعتبر علم البلاغة من العلوم التي بسطها لنا القدماء بسطا وافياً وتوسعوا في بيانها، لأنها خرجت من رحم الاهتمام بكتاب الله المحكم، الدقيق العبارة، الرصين الأسلوب، والذي تحدى فطاحلة وجهابذة العرب بأن يأتوا بسورة على شاكلته، ولكنهم عجزوا عن ذلك و أفحموا.

لقد بلغت البلاغة العربية أوجها في عهد العالم والإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) شيخ العربية، والذي وضع دعائمها على أرض جديدة لا تنهار، وذلك من خلال كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى كان هذان الكتابان من أهم ما ألف في هذا المجال لبيان إعجاز القرآن الكريم و تفوقه على كل نصوص البشر الأخرى من شعر و نثر. وهي من أهم الكتب التي ألفت في هذا المجال.

وهكذا خلف لنا الأوائل تراثاً عظيماً في علوم النحو والصرف والبلاغة يشار إليه بالبنان، وامتدت العناية إلى تأمل مواطن الإعجاز البلاغي ونكت البيان ووجوه تحسين الكلام وأسرار النظم، فكان تراث نعتز به بماله من المزية والتفرد في علم البلاغ وغيره من العلوم الأخرى المرتبطة به ككتب التفسير.

هذا ويعد كتاب (درج الدرر في تفسير الآي والسور) للإمام عبد القاهر الجرجاني من كتب التفسير القيمة، تضمن نقولاً غزيرة عن عدد من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وعلم الكلام وغيرها من العلوم، كأمثال ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس ومجاهد والفراء وأبي عبيدة والزجاج، فجمع أقوال هؤلاء الأعلام وآراءهم، وأسكنها في ثنايا كتابه، فهي دليل على سعة اطلاعه وغزارة علمه، وهي تعطي صورة جلية عن مرحلة مهمة من مراحل مسيرة التأليف في تفسير القرآن الكريم.

وقد قام كل من: وليد بن أحمد بن صالح الحسين يشاركه إياد عبد اللطيف القيسي بتحقيق الكتاب الصادر عن سلسلة إصدارات الحكمة (1429هـ - 2008م)، و تجدر الإشارة إلى أن طبعة (الفرحان وشكور) ضبطت (درج) بضم فسكون، والدرج بالضم سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيها وأداتها، والجمع أدراج ودرجة. أما طبعة (الحسين والقيسي) فقد ضبطت (درج) بفتح وسكون والدرج بهذا المعنى لف و طي ونحوهما من المعاني المشابة.

وتعتبر هذه الدراسة جديدة حيث تم تحقيق الكتاب أول الأمر في شكل أجزاء على يد كثير من الباحثين والدارسين إلى أن انتهى الأمر وتم تحقيق الكتاب كاملاً من خلال رسالتين علميتين، وتكمن أهمية هذا الموضوع ودواعي اختياره، لأن الشيخ عبد القاهر الجرجاني رائد من رواد البلاغة العربية و علم من أعلام التراث العربي ،وقد جاء تفسيره هذا زاحراً بالإشارات البيانية التي تدل على ما في القرآن الكريم من نظم عجيب و تأليف منقطع النظير في الجودة و البراعة.

بعد هذا نتساءل كيف استطاع الجرجاني من خلال كتابه هذا أن يستثمر أدوات النقد الأدبي في تقييم مستوى الجمال الفني في القرآن الكريم من خلال عرض مستويات التفاضل في تركيبه وبيانه؟ وهل تستطيع البلاغة وحدها أن تكشف عن هذه المستويات البيانية للنص القرآني في غياب رؤية نقدية تستثمر مختلف منجزات النص الأدبي لتقييم الجيد والقيح؟

وسنعمد في تحليل ودراسة نصوص تفسير القرآن الواردة في هذا الكتاب على المنهج الوصفي الذي اقتضته طبيعة البحث القائم على عرض ما في هذا الكتاب من وقفات لغوية و بيانية غاية في الدقة و الجودة ، وسيكون موضوع دراستنا نسخة من كتاب (درج الدرر في تفسير الآي والسور) تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللطيف القيسي، ط.1، مجلة الحكمة، بريطانيا، 1429هـ/2008م، وذلك من خلال الإطلاع على طريقة تفسير عبد القاهر الجرجاني وتحليل النصوص معتمداً على أساسيات البلاغة في

كتب التراث ورؤى علماء البلاغة والإعجاز القرآني، مبينا مستوى الجمال الفني المؤثر في النفس البشرية والذي خاطب القلب والعقل، وهذا ينم عن ما تفرد به الجرجاني عن غيره من المفسرين ،وقد نسجنا خطة لهذا البحث: اشتملت على: مقدمة، مدخل، وفصلين وخاتمة، في المقدمة حددنا فيها (طبيعة الموضوع محل الدراسة، ثم تحديد الإشكالية، والمنهج المتبع في تناول الموضوع، والتنويه بالمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها بكثرة).

والمدخل احتوى على النقاط التالية:

عرض تاريخي عام عن تطور فكرة البحث في الإعجاز القرآني من خلال تناول

النقاط الأساسية التالية:

1- النص القرآني المعجزة اللغوية الخالدة الدالة على صدق النبوة.

2- مجيء النص القرآني بلسان عربي مبين.

3- عناية الدرس اللغوي القديم بموضوع البحث في هذا النص لإثبات الإعجاز

والاستدلال على صدق النبوة مع الإشارة إلى تعدد الآراء في هذا الميدان.

4- اهتمام أهل اللغة والبلاغة بالبحث عن سر الإعجاز داخل النص القرآني مع

التركيز على الجانب البياني فيه.

5- عرض بعض التجارب في هذا الشأن الزمخشري في الكشف، عبد القاهر في دلائل الإعجاز، بديع الزمان النورسي في كتابه "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ثم الإشارة إلى تبني عبد القاهر بعض مظاهر التعبير البياني في تفسيره موضوع البحث.

ثم الفصل الأول (نظري) واحتوى على 04 مباحث، الأول تضمن التفسير القرآني والدرس الإعجازي، والثاني كلمة في الكتاب وعن محتوياته، والثالث تحدث فيه عن منهج الجرجاني في عرض مظاهر الإعجاز البياني في الكتاب، والرابع تضمن مادة الإعجاز البياني في تفسير الجرجاني من خلال: البحث اللغوي، والبحث البلاغي.

أما الفصل الثاني (تطبيقي) تضمن شقين الأول عبارة عن نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز اللغوي، وكذا موضوعات نحوية ودلالية. والثاني احتوى على نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز البلاغي من خلال علم البيان وعلم المعاني.

ثم خاتمة تعرضت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث. ولقد اعتمدنا بالدرجة الأولى على كتاب "درج الدرر في تفسير الآي والسور" كمادة أساسية ثم القواميس، في تفسير بعض المصطلحات، والقرآن العظيم، وكذا لا ننسى كتاب (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) والرسالة الشافية للجرجاني.

وقد لاقينا في إطار التحضير لهذا البحث عدة صعوبات، أهمها قلة المصادر والمراجع خاصة أن الموضوع جديد لم يتم التطرق إليه سابقاً بشكل مستفيض، والنقطة الأخرى هو ضيق الوقت الذي كان العامل الرئيسي في ذلك .

وفي الأخير لا يسعني إلى أن أشكر وأثنى على الله سبحانه وتعالى في المقام الأول الذي وفقني، و نشكر أستاذي المشرف الدكتور هاشمي الطاهر جزاه الله كل خير وكل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز هذا البحث.

التاريخ: 25 رمضان 1439هـ

الموافق ل: 2018/06/10م.

مدخل

# المدخل:

عرض تاريخي عام عن تطور فكرة البحث في الإعجاز القرآني من خلال تناول النقاط الأساسية التالية:

- 1- النص القرآني المعجزة اللغوية الخالدة الدالة على صدق النبوة.
- 2- مجيء النص القرآني بلسان عربي مبين.
- 3- عناية الدرس اللغوي القديم بموضوع البحث في هذا النص لإثبات الإعجاز والاستدلال على صدق النبوة مع الإشارة إلى تعدد الآراء في هذا الميدان.
- 4- اهتمام أهل اللغة والبلاغة بالبحث عن سر الإعجاز داخل النص القرآني مع التركيز على الجانب البياني فيه.
- 5- عرض بعض التجارب في هذا الشأن الزمخشري في الكشف، عبد القاهر في دلائل الإعجاز، بديع الزمان النورسي في كتابه "إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز" ثم الإشارة إلى تبني عبد القاهر بعض مظاهر التعبير البياني في تفسيره موضوع البحث.

إن الإعجاز القرآني حقيقة الحقائق، قد أودعه الله سبحانه تعالى في كلمات نظمت نظم الدرر المكنون، فكانت كقلائد البيان العربي. فهل في مقدور إنسان يطلب هذه الحقيقة الكبرى أن يلقيها لقاء مباشراً، وأن يهجم عليها بلا استئذان أو استئناس؟ ، وهذا اللقاء مع إعجاز القرآن لم يكن إلا بعد أن ننظر نظرات كثيرة هنا وهناك. لنستأنس بها في طريقنا إلى الغاية التي نشدها، ولذلك كان الطريق إلى الإعجاز عبارة عن مراحل، فكل مرحلة تعتبر مدخلاً إلى الإعجاز، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>1</sup>.

فالعالم هو الذي يجعل لنا نظراً كاشفاً لبعض في آيات القرآن من روائع وعجائب، وهو الذي يعين على فهم ما هو مستور من أسرار الكتاب وما يتضمنه من علم وحكمة، والمهم أن ننتفع بما نأخذ ولو كان قليلاً، والتمكين لآيات الله في قلوبنا، ويفتح لنا أبواباً في عقولنا، مما يؤدي إلى استقامة في سلوكنا، حيث يقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>2</sup>، ويقول أيضاً سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْبَیِّ هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>3</sup>.

وبذلك تشرق حقائق هذا الوجود على ضوء القرآن، وتزداد وضوحاً وبياناً، ومن أجل هذا كان الوصف الذي وصف به الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثَرَةِ الرَّدِّ﴾<sup>4</sup> أي لا يبلى على كثرة ترداد تلاوته، وكان هذا الوصف ملازماً للقرآن على مدى الدهر أبلغ شهادة على صدق الرسول.

وهكذا فإن اشتمال القرآن الكريم على الحقائق والأسرار هو في حد ذاته إعجاز، وآية خلوده إلى يوم الدين، فتظل العقول إليه متطلعة وناظرة فيه وآخذة منه، والحقائق والأسرار لا تأتي بها من خارج القرآن وتلصقها به، فتصبح كالأجسام الغريبة، التي تكدر صفو الماء. وهذه الحقائق التي تؤخذ من القرآن الكريم

<sup>1</sup> سورة العنكبوت 43.

<sup>2</sup> سورة الإسراء 82

<sup>3</sup> سورة الإسراء 09.

<sup>4</sup> حديث أخرجه الترمذي

ستظل ثابتة قائمة على وجه واحد، هو الحق، فالوجود يزول وهو لا يزول، وتتحول الدنيا وهو ثابت لا يتبدل. حيث يقول في هذا الصدد سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صَدَقًا وَعَدْلًا، لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>1</sup>.

ولهذا كانت الآيات كلها تخاطب القلب أولاً ثم المشاعر، والوجدان والأحاسيس المختلفة، فإذا أصابها نور الحق سكنت وصفت وانجلي ظلامها، فيصبح الإنسان ذو قلب مطمئن، وعقل متزن وله رأي سديد، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « أَلَا وَفِي الْجَسَدِ مُضَغَّةٌ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »<sup>2</sup>. لذلك فإن اعجاز القرآن سرّ محجوب عن الأنظار، لا يقع موقع الحس، ولا يستجيب لدواعي الحواس، ولا يخضع للتحاليل الكيميائية، فهو أشبه بريح طيبة.

وفي المحصلة أن القرآن الكريم هو قانون وسلطان معاً، وإذا تجرّد من هذا السلطان لم يكن هو القانون الذي حملته الرسالة الإسلامية، ودعت إليه الناس، فهو ليس أحكاماً يطبقها حاكم أو أية حكومة، وإذا فعلنا ذلك فإننا نساويه بالقوانين الوضعية.

وإن في كلمات الله لسرّ عجيب وقوة كامنة فيه، تجذب الناس إليه، وتجعلهم يداومون النظر فيه، والتطلع إليه، لكشف ماوراءه من عجائب، وهذه الكلمات التي ينطق بها الناس، تجعلك في رحلة من الأرض إلى السماء، إلى عالم الروح، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ... إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>3</sup>، ولذلك يقول (سهل بن عبد الله) لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه لأنه كلام الله، كلام له وقع في الأذن والقلب، وتأنس به النفس، فهناك من الكفار من إذا استمعوا إلى تلاوة القرآن فاضت نفوسهم لروعته وخشيته، وما هو كما يحكي التاريخ أن الوليد بن المغيرة عندما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى

<sup>1</sup> سورة الأنعام 115.

<sup>2</sup> حديث متفق عليه.

<sup>3</sup> سورة لقمان 27.

وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>1</sup>. فقال أعد علي، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: « وَاللَّهِ إِنْ لَهُ لَحَلَاوَةٌ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمْثَمِرٌ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمْغْدِقٌ، وَمَا يَقُولُ ذَلِكَ بَشَرٌ<sup>2</sup>. لقد أثر القرآن الكريم بروعته في نفسيته، وكأنه مس الكهرباء ولهذا نجد القرآن يعجب من الذين قست قلوبهم. وهكذا انقسم الناس إلى فريقين: فريق ادعى وآمن به، وفريق بقي مكابراً معانداً ومتجبراً، فهؤلاء تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله، ثم أن يأتوا بعشر سور، ثم بسورة واحدة، وقد بلغ التحدي ذروته لما قال لهم: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً<sup>3</sup> ».

وبعد أن انتشر الإسلام في أرجاء الأرض واختلطوا ببيئات أخرى غير عربية، لم يعودوا يدركون إعجاز القرآن بالفطرة، بل صاروا يدركونه عن طريق دراسة واعية للغة العربية، وما تشمل عليه من غريب الألفاظ وأساليبها، فانتقل الإعجاز من مرحلة " التذوق الفطري " إلى مرحلة " التذوق العلمي ". وهذا التعمق في دراسة أساليب اللغة العربية لا يتأتى إلا لفئة قليلة من المسلمين التي بيدها ما يسمى " بالتذوق الفني ".

ولهذا كثرت التساؤلات والاستفهامات حول إعجاز القرآن وقد استغل ذلك ما سمي بالشعوبيين، وراحوا يشككون في هذا الأمر لدى العامة من المسلمين، مما قيض الله سبحانه وتعالى علماء للدفاع عن القرآن من شكوك وأباطيل هؤلاء المعارضين له، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه: " مجاز القرآن " ثم جاء الجاحظ في كتابه " النبوة " و " نظم القرآن " و " البيان والتبيين "، ثم جاء ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه " تأويل مشكل القرآن " حيث ركّز على الآيات التي كانت موضع جدال ونقاش من قبل هؤلاء الطاعنين.

<sup>1</sup> سورة النحل 90.

<sup>2</sup> حديث صحيح إسناده على شرط البخاري.

<sup>3</sup> سورة الاسراء 88.

وعندما نتصفح القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى يصفه بأنه عربي مبين، في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>1</sup>. وقال أيضا: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾<sup>2</sup>، فلو نزل القرآن الكريم بلسان غير عربي، لاحتجوا بأنهم لا يعرفون هذا اللسان الذي جاء به، ولم يكن للتحدي معنى، «لأن شرط التحدي أن تقطع جميع الأعذار التي يمكن أن يتعلق بها من تتحداه، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله كانوا بذلك معذورين، فلا تقوم عليهم الحجة، و قالوا: نحن لا نعجز عن العربية، أما غير العربية فنعجز عنها. لذلك اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون القرآن الكريم بلسانهم و نظمهم، لتقوم عليهم الحجة، و يظهر لهم صدق محمد عليه الصلاة و السلام في دعوته فيما يبلغ عن ربه»<sup>3</sup> لأنه عندما يكون لهم عذر، فيستطعون أن يتحدوا ويعارضوا القرآن، فإذا طالبناهم بأن يأتوا بسورة من مثله كان لهم العذر في ذلك.

وفي غضون هذا العصر السابق للدعوة الإسلامية توفرت للغة العربية عوامل أسرعت بها نحو النضج و الكمال و ذلك كالأسواق التي كانت منتشرة وكان التنافس فيها حاد، عن طريق الأشعار والخطب التي كانوا يلقونها، وكذلك نشير إلى عامل آخر وهو الحروب التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية، وانتقلهم إلى المناطق المجاورة ساعد في تنشيط العقول وتهذيبها، فأصبحت اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات بمميزات جعلتها في الريادة وهي خاصية الإعراب والاشتقاق. لذلك أن كل ما في القرآن الكريم من كلام، هو مما يدور على ألسنة العرب، ومنه يصاغ نثرهم، ونظمهم، كالخطب والأشعار والحكم. ولكن أين هذه المعجزة في هذا الكلام؟ وماذا يشهد الناس من إعجازها؟ وكيف يتلمسون هذه المعجزة، إنها معجزة لا ترى بالعين ولا تلمس باليد بل على الناس أن يتدبروا آياته وعندئذ يرون ببصائرهم المعجزة، فالعقل مدعو إلى الكشف عن الحق الذي نزل به القرآن، وعن الإعجاز الذي شملته كلماته وآياته حيث يقول

<sup>1</sup> سورة النحل 103.

<sup>2</sup> سورة فصلت 44.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>1</sup>. ويقول سبحانه وتعالى أيضا: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>2</sup>، فلا يعرف وجه الإعجاز في القرآن الكريم إلا ذو عقل الذي يسمع جيِّداً لهذا القرآن ويفتح قلبه له، وللنور الذي نزل مع هذه الآيات.

فجميع العلوم التي اشتغل بها المسلمون منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا، إنما كانت من أجل القرآن ولصالحه كعلوم التفسير والقراءات والفقه والأصول وعلم الكلام والنحو وغيرهم، وكانت غايتها الكشف عن أسرار القرآن، وكانت تلك العلوم المذكورة يكمل بعضها بعضاً، وسأحاول أن أعرض في هذه العجالة بعض الرجال الذين كان لهم السبق في هذا المجال فنذكر مثلاً " الجاحظ " (ت255هـ) على رأس الجماعة الذين نظروا في بلاغة القرآن وحاولوا الوصول إلى إعجازه، وتناولوا في كثير من رسائله وكتبه الكثيرة، باعتباره أول من تصدى لهذا الأمر، وجعله درساً خاصاً للنظر، لذلك نقول أنه لم يحفظ لنا التاريخ رسالة من رسائله أو كتاباً من كتبه، يتحدث فيه عن الإعجاز، وإنما نجد ذلك منشوراً في ثنايا بعض كتبه، مثلاً كرسالته تحت عنوان " حجج النبوة " يتحدث فيها عن معجزة الرسول، وأنها موجودة في القرآن الكريم الذي هو المعجزة الخالدة، فيقول الجاحظ: « إن محمداً صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها في العقل كموقع فلق البحر من العين .. وذلك قوله لقريش خاصة، وللعرب عامة، مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والعلماء، وأصحاب الرأي والمكيذة والتجارب، والنظر في العاقبة: " إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعواي، وصدقتم في تكذبي »<sup>3</sup>.

يتبين من ذلك أن العرب طعنت في القرآن الكريم وكثرت خصومتهم له، فتحداهم عليه الصلاة والسلام بأن يأتوا بسورة واحدة لكي يكونوا صادقين في تكذيبهم. والدليل على معارضة الكفار للقرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾<sup>4</sup>. و قال أيضا سبحانه و تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾<sup>5</sup>. هذا يدل على

<sup>1</sup> سورة يوسف 02.

<sup>4</sup> سورة الفرقان 32.

<sup>2</sup> سورة العنكبوت 43.

<sup>5</sup> سورة يونس 15.

<sup>3</sup> المكتبة الشاملة، الجاحظ و رأيه في الاعجاز.

تقريع القرآن الكريم لهم بالعجز وكان جلياً بينهم، ثم يبين الجاحظ أن من بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم نجد النظم، الذي تميز به القرآن الكريم وصاغ به الأساليب مع المعاني كانتظام الروح في الجسد.

والجاحظ معروف بأنه من أئمة البلاغة والبيان، وبارع في اللغة العربية. وكانت الظاهرة الغالبة في فترة الجاحظ، هي الاهتمام بالمعنى، ولا زالت آثار الفلسفة اليونانية والعقل الهندي والفارسي في الحكمة والأمثال قد انتقلت إلى اللغة العربية، ومنه نشأت ما يعرف بالمذاهب الكلامية والفلسفية، وربما كان أحسن مثال للناس الذين يجرون وراء المعاني هي الصورة التي تجمع بين البحري وأبي تمام، فظل البحري ملتزماً عمود الشعر العربي مخلصاً له، مهتماً باللفظ والقافية، بينما كان أبو تمام قد لحق بالتيار الجديد، يتصيد المعاني الغريبة الدقيقة، وبذل فيها جهداً كبيراً، وبالتالي لم يبق له جهد في اختيار اللفظ، فتميز شعره بالاضطراب، فخرج عن الذوق عند العرب.

ومن ناحية أخرى نجد الجاحظ تكلم وقال بالصرفة، في وجه الإعجاز في القرآن، ولم يكن مقلداً لشيخه النظام، فهو يبحث عن الأسس التي يركز عليها هذا المبدأ ليكون مقبولا لدى الناس، ولقد التجأ إلى الصرفة بعد أن أعياه البحث عن الضوابط الدقيقة التي يضبط بها وجه الإعجاز في القرآن، رغم أنه من أئمة اللغة والبلاغة والبيان، لذلك فإن الإعجاز عجز عنه الجن والإنس، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً<sup>1</sup>﴾.

فسر الإعجاز مضمراً في كلمات القرآن، كلمة كلمة وآية وآية، كالروح ترى آثارها، وتشاهد أفعالها، دون أن يكشف للناس شيء منها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً<sup>2</sup>﴾. فالجاحظ لم يقل بالصرفة على إطلاقها، فالقرآن في رأيه معجز في ذاته من بُعد بعيد

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية 88.

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية 85.

بينه وبين كل قول يقال هو الذي عجز العرب أن ينزلوا معه تلك المعركة، وهم على علم إن فعلوا ذلك، فضحوا أنفسهم وهزموا، فإذا قرأت قرآن مسيلمة الكذاب، و قرآن طلحة، فتجد أن القوم لم يكونوا معارضين، بل كانوا ساخرين أو مجانين. ولذلك نجد أن الجاحظ قد صرف نفسه لا عن معارضة القرآن بل حتى عن البحث عن أسرار إعجازه.

ومن يمعن النظر في آراء الجاحظ المتعلقة بقضية إعجاز القرآن يرى أنه وقف موقفا وسطا بين القول بالصرفة من جهة والقول بالإعجاز البياني القائم على النظم والتأليف من جهة ثانية، وقد علّق الرافعي على هذا التردد والتناقض في أقوال الجاحظ بشأن الإعجاز قائلاً: «أما الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها ..»<sup>1</sup> ولم يسلم هو أيضا من القول بالصرفة وإن كان قد أخفاها وأوماً إليها، ولكن الذين جاؤوا بعده كانوا أكثر وضوحاً فيما يخص قضية الإعجاز القرآني من خلال مسألة الإعجاز البياني للنص القرآني.

«فلقد كان من مظاهر القوة والإعجاز في القرآن الكريم ذلك التصوير المبدع وتلك الإثارة البالغة في الحواس المختلفة والعواطف المتباينة، بما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان، الأمر الذي يؤكد ما لهذه الصور من غرض للتأثير في النفوس، يقوم على ما في خصائص التصوير من إحياء وبعث لصور المعاني في الخيال...»<sup>2</sup>.

ويبدو هذا واضحاً من خلال ما في نظمه من الأسرار وما في تأليف أسلوبه وتركيب عباراته من الحقائق والمعاني، وظهر ذلك في الأعمال التي أنجزت في أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن 04 هـ، وفي هذا الإطار يأتي موقف ابن قتيبة ( ت 276 هـ ) في الدفاع عن قضية الإعجاز القرآني، معتمداً على تنفيذ آراء المعتزلة القائمة على القول بالصرفة، ويظهر ذلك جلياً من خلال كتابه " تأويل مشكل القرآن " كحجة قوية دالة على صدق النبوة، ومن خلال تصفح هذا الكتاب يتبين أنه متأثر بأستاذه الجاحظ على الرغم من مخالفته له في موضوع الصرفة. ولكنهما حريصان على تنفيذ أقوال المعتزلة والملاحدة القائلة بإبطال الإعجاز القرآني على النظم والتأليف.

1- عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

ثم جاء الرماني (ت 376 هـ) الذي وضع رسالة تحت عنوان "النكت في الإعجاز القرآني" وهو من الذين يؤيدون فكرة قيام الإعجاز القرآني على النظم والتأليف، حيث ربط هذا الموضوع بقضايا الفصاحة والبلاغة، وفي هذا يقول: ((وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ فأعلها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة))<sup>1</sup>. ورغم قوله بقيام القرآن على النظم والتأليف لم ينف القول بالصرفة عند الكثير من المعتزلة، بل يرى بأن الصرفة هي وجه من وجوه الإعجاز، وفي هذا يقول: ((وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم من أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز الذي يظهر منها للعقول))<sup>2</sup>.

وقد تبعه في هذا الطريق الخطابي (ت 388 هـ) الذي يعتبر من العلماء المسلمين السابقين إلى البحث عن قضية الإعجاز؛ بحث يتسم بالعلمية والتنظيم، وفي هذا الإطار ألف رسالة سماها "بيان إعجاز القرآن"، ويرى أن سبب خلاف الناس حول رؤية وجوه الإعجاز، يرجع إلى ما يستشعره القلب وتلمحه البصيرة، أي أنه لا يخضع لمقاييس العلم وإنما لمناجاة الروح، وهو يعارض القول بالصرفة ويستدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾<sup>3</sup>. ويرى أنهم صوروا المعجزة بالصورة الحسية التي تتحدى قوى البشر، أما معجزة القرآن فهي غير ذلك، تتحدى الملكات العقلية والطاقات النفسية والروحية. كما أن إعجاز القرآن كان باللفظ والمعنى معاً، بين أفصح الألفاظ وأصح المعاني، لذلك فالصورة البيانية بجميع عناصرها تعتبر كياناً واحداً هو نظم القرآن، والذي أعجز العرب، وقد كشف الخطابي عن منهج جديد في تناول مسألة الإعجاز في القرآن الكريم بقوله معلّقاً على ما في نظمه من تأثير عجيب في النفوس: «قلت في إعجاز القرآن وجهها

<sup>1</sup> - الرماني، النكت في الاعجاز القرآني، دار المعارف-مصر، ط3، ص46.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 103.

آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرف إلا الشاذ من آحاده، وذلك صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قطع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى مما يخلص منه إليه، تستثر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والعلق تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب...»<sup>1</sup>.

ولهذا نلاحظ بأن الخطابي قد رسخ مفهوماً جديداً للإعجاز القرآني قائماً على النظم والتأليف أكثر نضجاً مما كان عليه سابقوه، حيث أعطى أهمية للبلاغة والبيان القرآني عناية كبيرة من خلال ما عقده من مقارنات وموازنات بين نظم القرآن ونظم الشعر مقسماً عناصر الكلام إلى ثلاثة أقسام لفظ ومعنى ونظم يجمع بينهما، وفي هذا الإطار يقول: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظ ... وأما المعاني فهي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها...»<sup>2</sup>.

ويؤكد الخطابي على أهمية النظم في تحقيق المزية في الكلام، ويجري مقارنة من خلال ملاحظاته الدقيقة بين النظم القرآني والنظم البشري.

ومما لا شك فيه أن احتدام الجدل الكلامي بين المعتزلة والأشاعرة قد بلغ أشده مع نهاية القرن 4 هـ، وتمخض عن هذا الجدل رؤية فكرية أوضح من ذي قبل، في مسألة الإعجاز القرآني قد تحدث عنها كل من الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني، فالباقلاني (ت 403 هـ) يرى بأن القرآن الكريم هو معجزة

<sup>1-</sup> د/ هاشمي، محاضرات السنة الثانية ماستر، 2017م/2018م.

<sup>2-</sup> المرجع السابق.

الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا ينكر أن له معجزات أخرى ويأتي الباقلاني بالدليل من القرآن الكريم على صدق النبوة ومعجزته، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿آلر .. كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ يَإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>1</sup>. فيخبرنا الله تعالى بأنه أنزله لك اهتداء به، وهو حجة ومعجزة في آن واحد.

فالكتب السماوية السابقة كانت للهداية، وأما القرآن الكريم فهو هداية ومعجزة، جعلت العرب وهم أفصح لسانا وبلاغة، ينبهون من أسلوبه وكلماته وتتجلى مظاهر الإعجاز لدى الباقلاني في وجوه ثلاثة: ((1- الاخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ويذكر ما فتح الله على المسلمين، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ﴾<sup>2</sup>.

وقال سبحانه و تعالى في أهل بدر: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾<sup>3</sup>.

2- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ، ولم يعرف عن الأمم السابقة شيئا.

3- نظم القرآن، فهو بديع النظم عجيب التأليف، فهو ليس بالسجع، ولا من قبيل الشعر))<sup>4</sup>.

وقد خصّ الباقلاني الوجه الثالث بالكثير من التفصيل والشرح حيث علّق عليه قائلا: «والذي أطلقه العلماء على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها، والذي يشمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوها منها: ما يرجع إلى الجملة وذلك أنّ نظم القرآن - على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه - خارج عن المعهود من نظام جميع كلامه ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أنّ الطرق التي يتقيد بها الكلام البليغ المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى

<sup>1</sup>- سورة ابراهيم 01.

<sup>2</sup>- سورة آل عمران 12.

<sup>3</sup>- سورة الانفال 07.

<sup>4</sup>- الباقلائي، إعجاز القرآن، دار المعارف-مصر، محقق أحمد صقر، ص43.

أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصابة والإفادة واتهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، ...، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق ( ... )، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة، وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه»<sup>1</sup>.

ثم جاء القاضي عبد الجبار ( ت 415 هـ ) الذي يرى بأن إعجاز القرآن الكريم لا يتمثل فيما لم تتعود عليه العرب من أساليب كالنثر والشعر، وإنما يتمثل في الفصاحة التي هي جزالة اللفظ، وحسن المعنى مما يعطي حسناً لأسلوب الكلام وبه يزداد بلاغة.

ويرى أيضاً أن الفصاحة تظهر في ضم الكلمات المفردة في التركيب لا وحدها. فالنظم هو الأساس في هذه البلاغة، من خلال اختيار الكلمة ثم وظيفتها في الجملة، ثم اختيار المكان المناسب لها. ويظهر من أن عبد الجبار ينظر إلى الكلمة نظرتين مختلفتين:

- نظرة في حال أفرادها.

- ونظرة أخرى في حال نظمها مع غيرها من الكلام.

وهي في كلتا الحالتين واقعة في أحوال ثلاث:<sup>2</sup>

## 1- مفهومها في ذاتها، من خلال وضعها في السياق.

<sup>1</sup>- الباقلائي ، اعجاز القرآن، ص 77.

<sup>2</sup>- القاضي عبد الجبار، سير أعلام النبلاء.

## 2- مفهومها حين تتداول عليها الحركات الإعرابية، قد تكون فاعلاً أو مفعولاً به، أو حالاً، أو صفة.. الخ

## 3- مفهومها حينما تأخذ مكاناً خاصاً في الكلام، مثلاً: كالتقديم والتأخير.

إذن فالنظم هو الأساس في بلاغة الكلام وفصاحته، وهو مذهب الجاحظ.

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الذي أسس لنظرية النظم وقد اعتمد على المرجعيات السابقة، وتميز منهجه بالذوق وسلامة الفطرة، ونقاء الطبع، ولم يتبع الأساليب الفلسفية والمذاهب الكلامية التي كانت رائجة في عصره، والتي أفسدت المقاييس البلاغية للبيان العربي، واستمرت إلى ما بعد عبد القاهر الجرجاني، ويعتبر هذا الأخير ربما من القلائل الذين لم يلجؤوا إلى الصنعة والتكلف.

ومن خلال كتابه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " تحدث فيهما عن البيان العربي والإعجاز القرآني، ثم أوردته بالمؤلف الثالث ألا وهي " الرسالة الشافية ". ثم في حديثه عن الإعجاز يرى عبد القاهر بأن أساس ذلك نظم الكلام الذي يخضع لقواعد اللغة، مثل وجود المسند والمُسند إليه حتى يصبح الكلام مفيداً، وكذلك تقدم الفعل على الفاعل، وتقدم حرف الجر على المجرور.

إذاً فما الذي جعل القرآن الكريم يتصف بهذه المزية العظيمة والبلاغة القوية حتى أعجز البلغاء والفصحاء، إنها كما يتصورها الجرجاني بأنها اللغة ذات القواعد والأصول والتي اتفق الناس على التعامل بها، فلكل لفظ مدلوله، ولكل تركيب وضعه، فلذلك فأى لفظ غريب إذا دخل على ما هو متعارف عليه بينهم، فلا يلتفتون إليه ولا يسمعون.

وفي هذا المضممار نعرض لبعض التجارب من العلماء في هذا الشأن، ونبدأ بالزمخشري وهو معتزلي، ورغم أنه كان يأخذ بآرائهم إلا أنه كان حرّاً، غير متعصب، ولا يقبل من الرأي إلا ما اطمأن إليه قلبه، وقد خالف المعتزلة في كثير من المسائل منها: أنه لم يأخذ بقولهم في إعجاز القرآن بأنه كان بالصرفة، بل يرى بأن القرآن معجز في ذاته من حيث هو كلام منظوم قد علا على كلام البشر. ونجد أن الزمخشري لم يؤلف كتاباً حول الإعجاز وإنما أقام أدلة الإعجاز وشواهد من القرآن الكريم، ((ولذلك ألف " الكشاف " الخاص بتفسير القرآن الكريم، ولم يأخذ الزمخشري طريق المفسرين السابقين وهو شرح مفردات القرآن أو إعرابه أو استخلاص الأحكام الشرعية منه، أو بيان أسباب النزول، أو التعريف بالناسخ و المنسوخ. ولكن منهجه اعتمد على استعراض القرآن الكريم كلّ، سورة سورة، وكان يقف عند كلّ آية، لينكشف له إعجاز النظم القرآني وأسراره، ولم يكن تفسيره لآيات الله غريباً، بل لم يخرج تفسيره عن الدلالات اللغوية لكلمات القرآن. وكان هدفه كشف روائع البيان وعجيب النظم، في تقديم كلمة على كلمة، أو اختيار كلمة بدل كلمة، أو حرف مكان حرف ...))<sup>1</sup>.

ويأتي بشرح المدلول اللغوي للكلمة، وإبراز الوجوه التي تستعمل فيها، والمعاني التي تؤديها، فكل آية من آيات الله تشير إلى معجزة، وتحدث عن إعجاز. ويرى بأن ترتيب السور في القرآن الكريم على هذا النحو الذي رتب في المصحف توقيفي، أي أن ذلك الترتيب كان عن أمر النبي عليه الصلاة والسلام بما تلقاه من وحي و في هذا الصدد يقول الزمخشري: (( وإنما الذي تباينت فيه الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الاستباق والتفاضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم المتباعد، وترقى إلى أن عدّ ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر، ومن غوامض أسرار، محتجبة وراء أستار ، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصبهم، وإلا واسطتهم وخصمهم، وعامتهم عماء عن إدراك حقائقها بأحداقهم، غناة في التقليد، لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم وإطلاقهم ...))<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا القول نجد أن الزمخشري يكشف لنا عن أصالة طبعه الفني، وسلامة حسه الأدبي، فيجعل مكانة للجانب الإنساني في مجال الآداب والفنون. أي أن هذه الأسرار الكامنة في روائع الآداب لا تستند على قواعد ثابتة من قواعد العلم بقدر ما تعتمد على الروح الإنساني. ولا يسلك هذا المسلك إلا

<sup>1</sup> - فؤاد علي البابلي، مذكرة تخرج، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017م.

<sup>2</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، ص 162.

رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن الكريم وهما: علم المعاني وعلم البيان، فأسرار القرآن الكريم لا تعطى إلا من أوتي حظاً من ذوق الكلام وفهم البيان. ونقف هنا على بعض الأمثلة التطبيقية العلمية لمنهج في التفسير.

**1-** في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا، وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾<sup>1</sup>. يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: « وَابْتَلُوا الْيَتَامَى »: واختبروا عقولهم، وذوقوا أحوالهم، ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ، حتى إذا تبينتهم منهم رشداً، أي هداية، دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ.

**2-** في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ .. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾<sup>2</sup>.

يقيم الزمخشري اعتراضاً بقوله: ((فإن قلت، كيف قيل: «إِلَّا أُمَمٌ» مع أفراد الدابة والطائر؟ قلت: لما كان قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ» إلا على معنى الاستغراق، ومغنياً عن أن يقال: وما من دواب ولا طير، حُمل قوله تعالى: «إِلَّا أُمَمٌ» على المعنى، ثم يقيم اعتراضاً ثانياً فيقول: فإن

قلت: هلاً قيل: « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا طَائِرٍ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ » وما معنى زيادة قوله: في الأرض، ويطير بجناحيه؟ قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه، إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ، محفوظة أحوالها، غير مهملة أمرها<sup>3</sup>.

<sup>-1</sup> سورة النساء 06.

<sup>-2</sup> سورة الانعام 38.

<sup>-3</sup> الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، بيروت، ط1، ص170، 2006م.

ثم يورد اعتراضاً ثالثاً: فيقول: « فإن قلت: فما الغرض في ذكر ذلك؟ قلت: للدلالة على عظم قدرته ولطف علمه، وسعة سلطانه، وتدييره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لها<sup>1</sup>»

ونورد مثالا ثانيا في نفس الاطار يتعلق بمنهج عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " منها فروق في الحال لها فضل تعلق بالبلاغة: قد تجيء الحال مفرداً وجملة، والقصد ها هنا إلى الجملة، وتارة تجيء مع « الواو » وأخرى بغير « الواو ». مثالها مع الواو (( قولك: — أتاني وعليه ثوب ديباج.

— رأيتَه وعلي كتفه سيف.

— لقيت الأمير والجندُ حوالبه.

مثالها بغير الواو، مثل: — جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه.

— أتاني عمرو يقود فرسه.

والقاعدة تقول: أن الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر، فالغالب أنها تجيء مع « الواو ».

مثل: — جاءني زيدٌ وعمرو أمامه.

— أتاني وسيفه على كتفه.

فإن كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال، لم يصلح بغير « الواو ». مثل:

— جاءني زيد وهو راكب.

— رأيت زيداً وهو جالس.

<sup>1</sup> - عبدالقاهر الجرجاني ، درج الدرر.

— دخلت عليه وهو يملي الحديث.

فإذا حذفنا الواو من الأمثلة السابقة لم يصلح، فلو قلت: جاءني زيد هو راكب.

- دخلت عليه هو يملي الحديث.

لم يكن كلاماً.

فإن كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفاً ثم كان قد قُدم على المبتدأ. مثل:

- عليه سيفٌ. - في يده سوطٌ.

يمكن أن تجيء بغير واو<sup>1</sup> .

وإذا كانت الجملة من فعل وفاعل، والفعل مضارع مثبت غير منفي، لا يجيء بالواو، بل يجيء بلا « واو

». مثل: جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه.

كذلك جملة « ليس » مجيئها بالواو وبغيرها يدل على البلاغة، مثل الجملة التي دخلها « ليس » كقولك:

- أتاني وليس عليه ثوبٌ. - ورأيتُه وليس معه غيره.

وقد تجيء بغير الواو مثل قول الأعرابي:

— لنا فتى وحبذا الأفتاء      تعرفه الأرسان والدلاء

— إذا جرى في كفه الرشاء      خلّى القليب ليس فيه ماء.

ونورد مثلاً حول الفصل والوصل:

إن عطف الجمل على بعضها البعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة هو من أسرار البلاغة، ولا يتأتى

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 215.

ذلك إلا لمن كان له ذوق الكلام، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال: " معرفة الفصل من الوصل"  
( ( ذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا أكمل لسائر معاني البلاغة.  
ونتحدث عن فائدة العطف في المفرد ثم في الجملة، ففي المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا  
أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم الإعراب، مثل:

1 - المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مرفوع . 2 - والمنصوب على المنصوب مثله.

((أما في الجمل المعطوفة فهي على نمطين:

1- أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وبالتالي يكون حكمها حكم المفرد والاشتراك في  
الحكم موجود. مثل: - مررت برجل خُلِّقَ حسن وخُلِّقَ قبيح.

فالجملة الثانية تأخذ حكم الجملة الأولى، في الجرّ وهي صفة نكرة.

2- والإشكال يقع في النمط الثاني، وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى.  
مثل: - زيدٌ قائمٌ، وعمرو قاعد. - العلمُ حسنٌ، والجهل قبيحٌ.

في هذه الحالة أن الواو لم تشرك الثانية في الإعراب، ولا يستو الحال أن تعطف وبين أن تدع العطف. مثل:

- زيد قائم، عمرو قاعد<sup>1</sup>.

ثم عندنا تجربة أخرى تتمثل في بديع الزمان النورسي الذي هو شخصية إسلامية كبيرة عزيز النفس، عارفاً بحقائق التوحيد، غزير العلم، قضى حياته مجاهداً في سبيل توضيح عقيدة الإسلام وبيان علل أحكامها، ودحض الأفكار المنحرفة والفلسفات الجاحدة المناقضة له، وكتابه " إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز " يعتبر قوي الحجّة، ومن خلاله يتضح أنه كان صاحب بصيرة نافذة، ومعرفة كلامية وبلاغية عميقة، ومنهج عقلي سديد، ويرغب في إيصال الإنسان إلى اقتناع كامل بكون هذا القرآن معجزاً، وكانت له مطالعة واسعة

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 222.

على الأدب والبلاغة في كتب الأولين أمثال: الجاحظ والزمخشري والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني حيث آمن بنظريته المشهورة في النظم وأعجب بها.

ورأى أن المفسرين الذين سبقوه كالزمخشري والرازي وأبي السعود لم يحاولوا تطبيق هذه النظرية من حيث هي منظومة متكاملة شاملة لترتيب السور والآيات والألفاظ سورة بعد سورة وآية بعد آية ولفظاً بعد لفظ. فأراد أن يؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية، والتي اعتمد عليها في الكشف عن تفاصيل المنظومة القرآنية التي يظهر بها الإعجاز، وتكشف دقائق خصائص الأسلوب القرآني التي خالفت خصائص التعبير العربي البليغ، ولم يكتف بتطبيق نظرية النظم بل تغلغل في معاني الآيات، وأراد بقاءها على المرتكزات العقلية للوصول إلى إظهار العقائد الإسلامية. وكمثال تطبيقي على سورة الفاتحة:

«الحمد: وجه النظم ما قبله: إن " الرحمن " و " الرحيم " لما دلتا على النعم استوجبنا تعقيب الحمد.

ثم وجه نظمه في هذا المقام أي جعله فاتحة القرآن، ولأن الحمد صورة إجمالية للعبادة.

لله: أي الحمد مختص للذات الاقدس، وفي الكلام إشارة إلى الإخلاص والتوحيد.

ربّ: أي الذي يربي العالم بجميع أجزائه، وذراته المتحركة بانتظام، لذلك الكائنات تجدها طوائف كبنّي آدم وقبائل مطيعة لقانون خالقه.

العالمين: الياء والنون إمّا: علامة للإعراب فقط، أو للجمعية، لأن أجزاء العالم عوالم.

الرحمان الرحيم: الرحمان بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع، والرحيم لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار وهما الأساسان للتربية.

ملك يوم الدين: أي يوم الحشر والجزاء.

وجه النظم: إذ الرحمة من أدلة القيامة والسعادة الأبدية، لأن الرحمة إنما تكون رحمة، والنعمة نعمة إذا جاءت القيامة وحصلت السعادة الأبدية.

إياك نعبد: أي نحن معاشر الموحدين نعبدك بإطاعة شريعتك، ونحن معاشر الكائنات نعبد شريعتك الكبرى الفطرية، ونسجد بالحيرة والمحبة تحت عرش عظمتك وقدرتك.

وأن تقدّم " إياك " للإخلاص الذي هو روح العبادة. وأن في خطاب الكاف رمزًا إلى علة العبادة لأن من اتصف بتلك الأوصاف الداعية إلى الخطاب استحق العبادة.

وإياك نستعين: كرّر " إياك " لتزيد لذة الخطاب والحضور، لأن مقام العيان أعظم من مقام البرهان. لأن العبادة حق الله على العبد، والإعانة إحسانه تعالى لعبده.

إهدنا: إنه جواب العبد عن سؤاله تعالى كأنه يسأل: أيّ مقاصدك أعلق بقلبك؟ فيقول العبد: إهدنا. وبها معاني متعددة فهي: ثبتنا، وزدنا، ووفقنا، واعطنا.

الصراط المستقيم: أي العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة.

صراط الذين أنعمت عليهم: أي الطريق المستقيم الذي يسرته لهم.

غير المغضوب عليهم: إن هذا مقام الخوف وفيه الحيرة والدهشة، للذين تجاوزوا القوة الغضبية فظلموا، وفسقوا بترك الأحكام كتمرد اليهود.

ولا الضالين: الذين ضلوا عن الطريق بسبب غلبة الهوى على العقل ووقعوا في النفاق والاعتقاد الباطل كالنصارى»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - بديع الزمان سعيد النورسي، اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ط3، شركة سوزلر للنشر - مصر 2002 ص30.

## الفصل الأول: المنهج اللغوي والبياني في تفسير درج لعيد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: التفسير القرآني والدرس الإعجازي

المبحث الثاني: الكلمة في الكتاب (موضوع الدراسة)

المبحث الثالث: المنهج الجرجاني في عرض مظاهر الإعجاز البياني في الكتاب

المبحث الرابع: مادة الإعجاز البياني في تفسير الجرجاني بين :

أ- البحث اللغوي.

ب- البحث البلاغي.

## المبحث الأول : التفسير القرآني و الدرس الاعجازي.

كما تولى المفسرون بيان مزايا الأسلوب القرآني وبلاغته ووجوه إعجازه عن طريق تفاسيرهم، ولعلّ أول من ألف كتاباً مستقلاً يتحدث عن إعجاز القرآن البياني هو الواسطي (ت 306 هـ) ، غير أن هذا الكتاب لم نعر عليه، وإنما نجد أن عبد القاهر الجرجاني قد شرحه من خلال تأليفه لكتابين أحدهما صغير والآخر كبير وسماه " المعتضد ولكنه غير موجود " .

ولنعطي نظرة عن كتابات بعض المعتزلة في إعجاز القرآن، لأنهم هم الذين قاموا بالرد على علمائهم فيما يخص مسألة الصرفة، ثم نعرض على علماء أهل السنة والجماعة.

يتميز علماء المعتزلة إلى جانب قدراتهم في علم الكلام، بصفة الفصاحة والبيان، والإطلاع على فنون البلاغة، وهذا ما يظهر جلياً خاصة في كتاب " المغني " للقاضي عبد الجبار (ت 415 هـ) والذي خصه للحديث عن إعجاز القرآن وبين نظم القرآن المعجز، ولكن الذي اشتهر في الإعجاز البياني هو الإمام الزمخشري من أئمة النحو واللغة والأدب، وله مؤلفات أشهرها " أساس البلاغة " في اللغة، و " المَفْصَل " في النحو، و " الكشف " في تفسير القرآن. ومن خلال هذا الأخير نجده أقحم التفسير وتأويل الآيات حسب أصول المعتزلة. ويرى أن الذي يتصدى للتفسير يجب أن يكون على قدر كبير من معرفة علم المعاني والبيان، ونورد مثلاً عن ذلك في قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)»<sup>1</sup>

يقول الزمخشري (ت 538 هـ): ((وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكُرم، والكريم صفة لكل ما يُرضى ويُحمد في بابه، ويقال وجه كريم إذا رُضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده. وقال: حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضياً في

<sup>1</sup> سورة الشعراء، الآية 7-9.

شجاعته وبأسه، والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع، «إنّ في ذلك» إنبات تلك الأصناف «لآية» على أن منبتها قادر على إحياء الموتى، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوعٌ على قلوبهم غير مرجو إيمانهم. «وإن ربك لهو العزيز» في انتقامه من الكفرة «الرحيم» لمن تاب وآمن وعمل صالحاً...<sup>1</sup>.

ويقول الكاتب ايضاً: ((أن هناك من المعتزلة من يقول بنفي الإعجاز الذاتي عن القرآن، وأنّ إعجازه كان بصرف الناس عن معارضته))<sup>2</sup>، ونذكر هنا أن أول من تصدى لهذا الرأي هو الجاحظ، وألف كتابه " نظم القرآن " الذي لم يصل إلينا، بل نجده متناثراً في بقية كتبه، كالبيان والتبيين والحيوان.

ثم جاء الرّماني (ت384هـ) وألف رسالة في هذا الموضوع سماها " النكت في إعجاز القرآن " ومن خلالها يذكر لنا الرّماني أن وجوه إعجاز القرآن هي: (( سبعة وجوه:

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

2- التحدي للكافة.

3- الصرفة.

4- البلاغة.

5- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.

6- نقض العادة.

7- وقياسه بكل معجزة)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن. ص56.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص49.

3- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص109.

ثم يتوجه الكاتب إلى البلاغة وهي على ثلاث طبقات كما يذكر: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. وبعد شرحها يرى بأن للبلاغة عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمين، المبالغة وحسن البيان، ثم يشرحها باباً باباً ويستشهد بآيات من القرآن الكريم، وكذلك بيت شعر أو قول مأثور وكل هذه تؤلف مع بعضها ما يسمى بوجوه الإعجاز في رأيه.

ومن ضمن الرسائل الثلاث في الإعجاز نجد أن الرسالة التي يتحدث فيها الخطابي (ت388 هـ) عن بيان إعجاز القرآن، فيرى بأنّ الناس قد تكلموا في هذا الموضوع قديماً وحديثاً وهو معجز في ذاته لبقائه بقاء الدهر منذ نزوله حتى زماننا، وقد تحداهم عليه الصلاة والسلام بأن يأتيوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا عن ذلك وأصابهم الذل والهوان هم وآلهم، وقد جعل الله سبحانه وتعالى في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها. قال تعالى: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)»<sup>2</sup>

وهناك فريق آخر يرى بأن إعجازه في البلاغة، حيث يعرف ذلك من السماع وتأثير في نفوس العلماء، فيقول: (( فأما من لم يرض من المعرفة بظاهر السّمة دون البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان، فإنه يقول: إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حسن السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس ... أمر لا بد له من سبب))<sup>3</sup>.

---

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 23.

<sup>3</sup> ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ط: 03 دار المعارف بمصر، ومحمد زغلول سلام. ص25.

أي أن أجناس الكلام مختلفة، وتتفاوت في البيان، وكذلك تتفاوت في البلاغة، فمنها البليغ، ومنها الفصيح إلى غير ذلك، ونجد أن العلماء اعتمدوا في الاستقراء على القرآن الكريم نفسه، فمثلا علماء النحو يستدلون على صحة قاعدة نحوية ما بورودها في القرآن، ليس في قراءة حفص عن عاصم فقط، بل يكفي ورودها في أي قراءة متواترة أخرى فالقرآن هو الحاكم على النحو وليس العكس.

وإذا نظرنا إلى أسلوب القرآن نجده يتميز باختيار ألفاظه، ولما لها من فروق دقيقة في دلالتها، فيؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له، تلك الكلمة بعينها وأن كلمة أخرى لا تستطيع أن تؤدي المعنى الذي أدته أختها، ولذلك فإن كل كلمة تحمل معنى جديداً، وأن لا يستخدم لفظ مكان آخر، قال تعالى: « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) »<sup>1</sup>

فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة ( راعنا ) لها معنى في العبرية مذموم نهي المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها. فقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) »<sup>2</sup>، فالقرآن الكريم شديد الدقة فيما يختاره من لفظ يؤدي به المعنى وكذلك تنكير كلمة ( حياة ) في قوله تعالى: « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ »<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية 14.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 104.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 96

يعبر القرآن تعبيراً دقيقاً عن حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة يعيشونها مهما كانت حقيرة ضئيلة القيمة، وعندما أضيفت هذه الكلمة إلى ياء المتكلم ( لحياتي ) في قوله تعالى: « وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) »<sup>1</sup>.

نجد أن القرآن عبر بأدق تعبير عن شعور الإنسان يومئذ وقد أدرك في وضوح أن تلك الدار الدنيا لم تكن إلا وهماً وسراباً خادعاً، أمّا الحياة الحقّة الباقية فهي تلك التي بعد البعث لأنها دائمة، لذلك سماها حياته وندم على أنه لم يقدم عملاً صالحاً ينفعه في تلك الحياة.

وكذلك من الدقة في التمييز بين معاني الكلمات ما نجده من الفرق في الاستعمال بين ( يعلمون ( و) ( يشعرون ) ففي الأمور التي ترجع إلى العقل وحده، نجد كلمة يعلمون صاحبة الحق في التعبير عنها، أمّا الأمور التي يكون للحواس مدخل في شأنها فكلمة ( يشعرون ) أولى بها. قال تعالى: « أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13) »<sup>2</sup>. فالسفاهة أمر مرجعه إلى العقل.

كذلك من ناحية أخرى يقول تعالى: « وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (154) »<sup>3</sup> فمن الممكن أن يرى الأحياء وأن يحس بهم

<sup>1</sup> سورة الفجر، الآية 24.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 13

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 154

# المبحث الثاني :

كلمة في الكتاب (موضوع الدراسة).

المبحث الثاني: كلمة في الكتاب:

إن كتاب " درج الدرر في تفسير الآي والسور " لصاحبه عبد القاهر الجرجاني الذي يتألف من مقدمة وتمهيد، وقسمين:

- القسم الأول: ويشمل على فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف، ويكون من خمسة مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده نشأته ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: العلمية وثناء العلماء عليه.

الفصل الأول: التعريف بكتاب " درج الدرر في تفسير والسور " وفيه ستة

مباحث:

المبحث الأول: توثيق اسم الكتاب وصحة نسبته للمؤلف.

المبحث الثاني: القيمة العلمية للكتاب.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: مصادر المؤلف.

المبحث الخامس: الجوانب النحوية والبلاغية واللغوية في تفسيره.

القسم الثاني: ويشمل على ما يلي:

أولاً: وصف الشيخ الخطبة المعتمدة في التحقيق.

ثانياً: منهجي في التحقيق.

ثالثاً: صور من مخطوطات الكتاب.

رابعاً: النص المحقق.

خامساً: تذييل الكتاب بالفهارس الفنية اللازمة.

فيدل على درر الكتاب المكنون، التي كشفها الجرجاني في تفسيره وهو يعتبر بحق إمام العربية وشيخ البلاغيين المتوفي ( 471 هـ ).

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هناك من سئل في نسبته لـ عبد القاهر الجرجاني وفيما يلي نورد بعض الأدلة التي تثبت عكس ما يدعون وهي:

**1- نسخ الكتب:**<sup>1</sup>

النسخة الأولى: وهي ترجع إلى مكتبة كوبريلي في تركيا - اسطنبول - ( 95 )، ومنها صورة ميكروفلم تحمل رقم ( 1168 )، وهي في ( 328 ) لوحة من القطع الكبير - أعني القرآن كله. وعلى وجه النسخة كتب عنوان الكتاب "كتاب درج الدرر" للإمام العلامة وقدوة السلف والخلف عبد القاهر الجرجاني.

النسخة الثانية: وهي من مكتبة كوبريلي أيضاً برقم ( 94 ) ولها ميكروفلم برقم ( 1169 ) وتقع في ( 550 ) صفحة. والناسخ يترك التنقيط في كثير من الحروف. كما كتب على وجه النسخة

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر ص52

" كتاب تفسير القرآن العظيم المسمى بدرج الدرر تأليف الشيخ الإمام والحجة الهمام، عمدة المفسرين وزبدة المؤلفين مولانا عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تغمده الله بالرحمة والرضوان ".

**النسخة الثالثة:** وهي النسخة الأصل، وهي أوضح النسخ وليس بأكملها؛ لأن النسخة وهي نسخة محفوظة في مكتبة " نور عثمانية " في تركيا - اسطنبول - تحت رقم ( 96 ) ولها ميكروفلم برقم ( 1173 ) وهي في ( 210 ) لوحة، قطع كبير. وخطها واضح جدًا ومقروء، وفي أعلى الصفحة ثبت ختم عليه: ( الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ). وأسفل من كُتب: كتاب درج الدرر. تفسير القرآن العظيم. تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة وحيد دهره وفريد عصره عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته.

**النسخة الرابعة:** وهي نسخة محفوظة بدير الأسكوريال باسباني تحت رقم ( 1400 )

منها نسخة مصورة في الجامعة الأردنية على ميكروفلم دون رقم مرفقة مع النسخة التي قبلها. وهذه النسخة أكثر النسخ سقطاً وسقط منها أكثر من ورقة في بعض الأحيان تَبَّهت عليه في موضعه، وربما حصل السقط في كلمة أو جزء منها أو جملة بأكملها، وعلى غلاف النسخة كُتب: تفسير القرآن العظيم المسمى بدرج الدرر. تأليف سلطان ( سيدنا الشيخ المحقق عبد القاهر الجرجاني تغمده الله برحمته. آمين )<sup>1</sup>، ((خلت نسخ الكتاب المخطوطة من مقدمة للمؤلف يذكر فيها اسم كتابه ومنهجه فيه، وأجمعت النسخ الأربع على نسبة الكتاب إلى عبد القادر الجرجاني))<sup>2</sup>.

## 2- نسبة الكتاب لمؤلفه:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الأي والسور ( ج 1/68 )

<sup>2</sup> المرجع السابق ( ج 1/15 ).

من أهم القضايا التي يبدأ محقق ( درج الدرر في تفسير الآي و السور ) ببيانها وتوضيحها هي: " هل هذا الكتاب لصاحبه أو أنه منسوب إليه؟ وبخاصة إذا كان المؤلف من أئمة الأعلام كالإمام عبد القاهر الجرجاني العلامة الأديب النحوي البلاغي، ((فهذا يحتاج إلى جهد ومشقة وعناء، ومما يزيد الأمور تعقيداً ومشقة أن السيرة الذاتية لهذا العالم الكبير، وعلى الرغم من شهرته، لا تسعفنا كثيراً في مثل هذه المسألة ))<sup>1</sup>. فالحقيقة أن الكتاب مذكور في أهم مصادر التراجم وكتب الفهارس التي يعتد بها وتعتمد في البحث العلمي. فأول من ذكر هذا الكتاب في كتب الفهارس والذي تذكر أسماء الكتب ومؤلفيها هو حاجي خليفة في كتابه ( كشف الظنون ) فيقول: (( درج الدرر، في التفسير مختصر للشيخ: عبد القاهر الجرجاني، ظنا ))<sup>2</sup>، وكلمة ( ظنا ) من حاجي خليفة لا تنفي أن الكتاب لغير الإمام، كما ذكره إسماعيل باشا البغدادي في ( هدية العارفين ) إذ يدرج في ضمن الكتب التي ألّفها الجرجاني كتاباً باسم ( درج الدرر في تفسير الآي والسور )، يقول البغدادي في هدية العارفين: (( الجرجاني أبو بكر الشافعي الأديب النحوي من تصانيفه أسرار البلاغة: الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو، الجرجانية جمل في النحو، درج الدرر في تفسير الآي والسور ))<sup>3</sup>.

ويذكر بروكلمان كتاب التفسير في ترجمته للإمام عبد القاهر الجرجاني، ففي كتابه تاريخ الأدب العربي بعد قوله: ( درج الدرر ): يقول ( وهو تفسير القرآن ): (( وينسب خطأ للشريف ))<sup>4</sup>. ومما يؤكد النفي الذي ذهب إليه بروكلمان أن الشريف الجرجاني توفي سنة 816 هـ، وأن ( درج الدرر ) خلا من أية نقول عن علماء بعد القرن الرابع، ولو كان الشريف مؤلف الكتاب فلا يعقل ألا ينقل عن أعلام بعد ذلك القرن، ولا سيما الزّخشي وغيره. يذكر الحافظ الذهبي صاحب سير أعلام

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج 2/5).

<sup>2</sup> حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج 1/745).

<sup>3</sup> البغدادي، هدية العارفين (ج 1/606).

<sup>4</sup> بروكلمان، تاريخ الادب العربي (مج 5/ص 206).

النبلاء أن للجرجاني كتاب " تفسير سورة الفاتحة " وأنه فسّرها في مجلد، وهذا يدل على أن الجرجاني فعلاً طرق جانب التفسير، فإذا كان بدأ بتفسير الفاتحة فحتمًا يواصل تفسير الباقي من كتاب الله كما جرت عليه عادة المفسرين الذين يتصدون لتفسير القرآن الكريم، (( فالأصل أن يتم القرآن برّمته لا أن يأخذ جزءاً منه إلا أن تدركه المنية قبل إتمامه، وهذا شيء نادر والنادر لا حكم له))<sup>1</sup>.

يقول الذهبي: (( أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. وصنف شرحاً حافلاً ( للإيضاح ) يكون ثلاثين مجلداً، وله ( إعجاز القرآن ) ضخماً، و ( مختصر شرح الإيضاح )، ثلاثة أسفار، وكتاب ( العوامل المائة )، وكتاب ( المفتاح )، وفسر الفاتحة في مجلد، وله ( العمد في التصريف )، و ( الجمل ) وغير ذلك، وكان شافعيّاً، عالماً، أشعريّاً، ذا نسك ودين ))<sup>2</sup>، يقول أحمد بن محمد الأدنه في طبقات المفسرين: (( ومن أجل مصنفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علم المعاني وصنف التفسير))<sup>3</sup>.

#### – الوجوه البلاغية والدلالية في تفسير درج الدرر:

إن بروز الإمام عبد القاهر الجرجاني في جانب البلاغة شكل منطلقاً عظيماً في هذا العلم حتى أن البلاغة لم تعرف إلا به ولم يعرف إلا بها، فهو الواضع المؤسس لقواعدها وأصولها، فإذا ذكرت البلاغة ذكر الجرجاني معها، وما كتبه التي ألفها في هذا الفن وأشهرها ( دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ) والإقبال الشديد عليها إلا أكبر دليل وشاهد على تميزه بها وضلوعه في مباحثها. لقد أودع

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور ( ج 1/52 ).

<sup>2</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء ط الرسالة ( ج 18/432-433 ).

<sup>3</sup> – أحمد بن محمد الأدنه، طبقات المفسرين ( ج 1/133 ).

الإمام في تفسير درج الدرر الكثير من المباحث البيانية والإشارات البلاغية حتى أكسب موضوع التفسير في هذا الكتاب مكانة رفيعة وجليلة في مادتها البلاغية. ((إن من يتتبع أسلوب الجرجاني في كتبه المطبوعة وجوانب الطرح التي ذكرها وبسط الكلام فيها سواء الجوانب البلاغية أو النحوية يجد كثيراً من التوافق والتشابه بينها، مع أن كتاب التفسير جنح فيه مؤلفه عما اعتاده من أسلوب البسط والإطناب والإطالة في عرضه للمسائل البلاغية والنحوية؛ لأنه يدرك أن الأسلوب الأمثل لتفسير القرآن هو الاختصار والإيجاز ليسهل تناوله والاستفادة منه لجميع شرائح قراء الكتاب الكريم، بل هناك بعض مؤلفات الجرجاني مثل كتاب " الجمل في النحو " وكتاب " المفتاح في الصرف " وكتاب " التتمة في النحو " وغيرها يستعمل أسلوب الاختصار على غرار أسلوب التفسير في درج الدرر<sup>1</sup>، إن المصطلح البلاغي قديماً كان مزيجاً من علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع حيث أطلق اسم البلاغة والفصاحة والمجاز والبراعة والبيان أو البديع أو نظرية النظم، فمن الصعوبة إيجاد المصطلح الذي يناسب وجوه البيان والإعجاز والدلالات، فكان الإمام يذكر العدول ويريد الالتفات ويشير إلى أسلوب الحكيم حين يتحدث عن الإفحام والغلط ويبين المشكلة دون الإشارة إلى المصطلح، ويتحدث عن المجاز دون أن يفصل في علاقته وأنواعه، ويشير إلى الاستعارة بشكل عام وإلى التشبيه والتمثيل وغيرها كالكناية والتعريض، ويبين صنوف المعاني والبديع بعبارات موجزة مكثفة، وربما أراد أن يأخذ كتابه طابع الاختصار. لقد تميز وانفرد الإمام في تفسير درج الدرر بتبيان أوجه البلاغة والفصاحة والإعجاز في الآيات الكريمة بعبارة موجزة مكثفة، لكنه كان يتبع ذلك بتوضيح الآراء المختلفة، واحتمالات الدلالة المتنوعة مدعماً كلامه بالقرآن الكريم فكان تفسيره يقوم على تفسير القرآن بالقرآن، والاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وإدراج العلماء، الشواهد الشعرية، القصص، الأخبار، الأمثال، وغيرها.

وفي فصول الدراسة توضيح لوجوه البلاغة والفصاحة ودلالات الإعجاز والبيان ما يؤكد أن تفسير درج الدرر للإمام عبد القاهر الجرجاني بأسلوبه ومنهجه وطريقة عرضه.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور ( ج 1/ 52 ).

#### 4- نظرية النظم في درج الدرر:

إن القضية التي تثبت نسبة الكتاب للإمام عبد القاهر الجرجاني أو لغيره ( نظرية النظم ) التي اشتهر بها الإمام وعرفت به، وفي بادئ الأمر يشار إلى ما ذكره المحققان (الفرحان وشكور) اللذان قالاً بأنه منسوب للإمام، يقول محقق الجزء الأول: " أورد في كثير من المواضع ما يخالف نظرية النظم التي ابتكرها الجرجاني، فنلاحظ أنه في عدد من المواضع يقول: " كذا لفوق رؤوس الآي "، وهذا يتعارض مع نظرية النظم، إذ يقول في دلائل الإعجاز: (( واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ))<sup>1</sup>، فالتقديم والتأخير، أو تغيير التركيب لوفوق رؤوس الآي لا يتفق مع قوله: " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ". وقد يردّ على ما سبق: (( أن عبد القاهر الجرجاني ربما ألّف درج الدرر في أول حياته العلمية قبل أن تنضج لديه فكرة نظرية النظم، وكان هذا التفسير بداية طريقه مع هذه النظرية، لما تضمن من أمور بلاغية كثيرة، تدلّ على بذرة جيدة لنظرية النظم، كما أنه لم يتلمذ على أحد))<sup>2</sup>. والرد على هذا بتساؤل: أليس التقديم والتأخير يعتمد قوانين وأصول النحو العربي وهو موضوع من موضوعاته وباب من أبوابه، وأن وفق رؤوس الآي والفواصل والسجع الخارج عن ذلك له وجوه بلاغية تتشكل من وجوه تحسين الكلام لأغراض بلاغية لا تقل أهمية عن المعاني والبيان ولها دلالات ومعاني. وأيضاً فليس الأمر كما يرى المحققان بأن درج الدرر كتبه في مقتبل العمر وفي أول حياته العلمية، وإن كان كذلك أليس الكثير من العلماء نبغوا وأبدعوا وتركوا لنا تراثاً عظيماً كانوا قد كتبوه في أول حياتهم العلمية، أما الناظر في عبارات الإمام المكثفة الموجزة فإنه يقف كثيراً عندها لإدراك المرامي والغايات التي تؤكد مساحة النضج والمعرفة والتميز التي اتضحت في درج الدرر.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 81).

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج 9/2).

ولقد تبين أن ما ورد في الكتاب من إشارات حول نظرية النظم حيث يشير الإمام في أكثر من موضع إلى نظريته، يذكر منها: (( ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفن الواحد من هذه الفنون. والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربي مبين ))<sup>1</sup>، وفي تفسيره الآية الكريمة: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)»<sup>2</sup>، يقول: (( دليل على أن القرآن هو هذا المعنى المنظوم المكتسي بلفظ موسوم سواء كان عربيا أو غير عربي، معجزا أو غير معجز، و إنما أنزله الله في ألفاظ عربية ليكون أبين للمخاطبين في عصر النزول، و إنما جعله معجزا ليكون برهانا كاليد و العصا و إبراء الاكمه و الابرص و إحياء الموتى ))<sup>3</sup>، وفي حديثه عن الإعجاز في قوله: «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا»<sup>4</sup> يقول: (( أن تنفذوا منها من له سلطان، و السلطان إذن الله لمن شاء من أوليائه ))<sup>5</sup>، ويقول في تفسيره الآية الكريمة من سورة يوسف: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)»<sup>6</sup>.

(( ما كان غاية في إفادة الصدق و العجب الباعث على مكارم الأخلاق، الزاجر عن اللوم بنظم سهل منتفع، وهو القرآن لتضمنه أقاصيص الأنبياء و الأولياء و ذكر عاقبة المتقين، و قصارى عمل المفسدين، وقيل: قصة يوسف عليه السلام لاستمالة على حسن تعبير يعقوب، و حسن موعظة يوسف، و حسن صبره في حزنه، و حسن تعزيه في مصيبتة، وحسن رجائه من

<sup>1</sup> المرجع السابق (ج 2/17).

<sup>2</sup> سورة الشعراء 196

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني. درج الدرر (ج 1/1327).

<sup>4</sup> سورة الرحمن، 33.

<sup>5</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج 1/121).

<sup>6</sup> سورة يوسف، 03.

الله، و حسن معاشرته فيه))<sup>1</sup>، ويقول في موضع آخر في تفسير الآية الكريمة: «لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ ۖ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111)»<sup>2</sup>، ((اتصالها بما قبلها من حيث ذكر أهل الكتاب و الحث على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بالإخبار عن صرف ضررهم، (إلا أذى) لن يبلغ ضررهم لكم إلا مقدار ما تتأذون به من القول المكروه و نقض العناء في استئصالهم، و أما أن يهزموكم أو يقاوموكم ، و يستقبلوكم بأدبارهم (ثم لا ينصرون) كلام مستأنف لأنه من قضية الكفر قاتلوا أو لم يقاتلوا الآن قضية القتال. وحكم الآية معجزة فضلا عن النظم و المعنى لان الله أنجز وعده و كبت يهود المدينة و بني قريضة و بني النضيل و بني قينقاع و يهود خيبر))<sup>3</sup> ، أليس كل ما سبق يشير إلى نظرية النظم التي أبدعها الإمام، فكيف بالكتاب يخلو من أي إشارة إلى نظرية النظم؟! .

## 5- توافق الأسلوب في ( دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ) ودرج الدرر:

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: إنكم تتلون قول الله تعالى: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ»<sup>4</sup>، وقوله: « بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ»<sup>5</sup>، ((فقولوا الآن، أيجوز أن يكون تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يتحدى العرب إلى أن يعارضوا القرآن بمثله، من غير أن يكونوا قد عرفوا الوصف الذي إذا أتوا بكلام على ذلك الوصف، كانوا قد أتوا بمثله؟ ولا بد من " لا "، لأنهم إن قالوا: " يجوز "، أبطلوا التحدي، من حيث إن التحدي - كما لا يخفى - مطالبة بأن يأتوا بكلام على وصف، ولا تصح المطالبة بالإتيان به على وصف من غير أن يكون ذلك الوصف معلوماً للمطالب وبيطل بذلك دعوى الإعجاز أيضاً

1 عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج1/979).

2 سورة آل عمران 111.

3 عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج1/517).

4 سورة هود، الآية 13.

5 سورة البقرة، الآية 23.

((<sup>1</sup>؛ ويقول الإمام في درج الدرر: (( وإنما وقع التحدي ههنا بنظم عجيب بديع، تضمن معنا صحيحاً غير متناقض ولا هزل، فيسميه الفصحاء لطيه وذوقه وبدوّ أحكامه شعراً وسحراً، ولا يكون كذلك، ونظائره: { فليأتوا بحديث مثله }<sup>2</sup>. وقوله: { فأتوا بعشر سور مثله مفتريات }<sup>3</sup> وقوله: { لئن اجتمعت الإنس والجن }<sup>4</sup> يسمي الإمام أسلوب الحكيم في دلائل الإعجاز بالمغالطة ويسميه في درج الدرر بالغلط والإفحام، ففي قول الحق سبحانه: { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }<sup>5</sup>، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }<sup>6</sup>، ويقول الإمام: ((«إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» سلموا للإنصاف في الجدل بما استدركوا الغلط في سائر دعاويهم بإثبات المشيئة لله في تفضيل بعض البشر على بعض بالخصال الحميدة؛ لإفحامهم في الجدل لعجزهم عن إنكار المشاهدة ))<sup>6</sup>، وسمى الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا الأسلوب في دلائل الإعجاز بالمغالطة في قوله: (( وقول الناس: مثلك رعى الحق والحرمة "، وكقول الذي قال له الحجاج: ( لأحملنك على الأدهم )، يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة: ( ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب )، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه ))<sup>7</sup>، يسمي الإمام عبد القادر الجرجاني في دلائل الإعجاز ( المغالطة ) حيث أشار إلى نفس المثال الذي يورده البلاغيون في أسلوب الحكيم، أما في درج الدرر فقد أطلق عليه الإمام (الغلط) باستدراكم دعاويهم حين يتحدث عن الإفحام في جدالهم في توضيح قول الرسل »

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 138).

<sup>2</sup> سورة النجم 34.

<sup>3</sup> سورة هود 13.

<sup>4</sup> سورة الإسراء، الآية 88.

<sup>5</sup> سورة إبراهيم، الآية 11 - 12.

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج 1/121).

<sup>7</sup> المرجع السابق (ج 1/159)

إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» جواب بطريق القول بالموجب. ومن هذا يتضح التقارب في فكر الإمام في الكتابين ( دلائل الإعجاز ودرج الدرر ).

ويتضح أيضاً توافق أسلوب الإمام في درج الدرر وكتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة باستخدامه نفس الكلمات والألفاظ والمعاني التي أرادها وطريقة نظم عرض الكلام، يقول في درج الدرر: (( ومزية الرّوج على الريح كمزية النفس على التراب، والحياة تركب هذين الجوهرين )<sup>1</sup>، ويقول في دلائل الإعجاز: (( إنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهها آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً ))<sup>2</sup>، ويقول أيضاً في دلائل الإعجاز متحدثاً عن المزية وهوى النفس: (( ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعته والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتماها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس ))<sup>3</sup>، ويقول الإمام في درج الدرر، (( ووجه القربة فيه أنه مخالفة لهوى النفس الأمانة بالسوء وقهر لها ))<sup>4</sup>، ويقول الإمام أيضاً: (( وقيل: عامة فيمن لزم هوى النفس والطبيعة واستهان بالعقل والشريعة، وفيها تنبيه على قبح هذه الخصلة ))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ( ص 286 ).

<sup>2</sup> المرجع السابق ( ص 43 ).

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر ( ج 1/ 413 ).

<sup>4</sup> المصدر السابق ( ج 1/ 815 ).

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 812.

# المبحث الثالث

منهج الجرجاني في عرض مظاهر الإعجاز البياني في الكتاب

### المبحث الثالث: منهجه في عرض مظاهر الإعجاز البياني في الكتاب:

يمكن أن نرسم صورة مجملة تظهر لنا أهم الصفات التي ميزت منهج الجرجاني ( درج الدرر في تفسير الآي والسور ) على النحو الآتي:

1- يبدأ المؤلف بذكر ألفاظ الآية التي يتوخى تفسيرها بحسب ترتيبها في المصحف، ثم يذكر في الكثير من الأحيان أسباب نزول الآية، وأقوال المفسرين فيها، ومعاني الألفاظ واشتقاقها وبنيتها الصرفية، ويذكر بعض وجوه الإعراب.

2- لقد اهتم بالقراءات القرآنية في مواضع مختلفة من الكتاب، أمثلة عن ذلك عند الحديث عن القراءات في مبحث ( موقفه من الشواهد ) في الفصل الثاني. وقد تجنب القراءات التي كثر فيها الجدل بين النحويين، كقراءة حمزة: « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ »<sup>1</sup>، وقراءة ابن عامر: « وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ »<sup>2</sup>.

3- كذلك اهتم بذكر معاني الألفاظ التي يعرض لتفسيرها، فمثلاً كلمة ( الرب ) في قوله تعالى: « رَبِّ الْعَالَمِينَ »<sup>3</sup>، فقال: الرب: السيد والمولى، قال يوسف عليه السلام: « اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ »<sup>4</sup>، وقال: « ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ »<sup>5</sup> وربما يراد به الملك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( أَرَبُ الْإِبْلِ أَنْتَ أَم رَبُّ الْغَنَمِ، فَقَالَ مِنْ كُلِّ أَتَانِي اللَّهُ فَأَكْثَرَ وَأَطْيَبَ )<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة النساء

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية 137

<sup>3</sup> الفاتحة، 02

<sup>4</sup> سورة يوسف، 42

<sup>5</sup> سورة يوسف، 50

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، 03

وفرق بين معاني ألفاظ المحاجة والحج في ثناء كلامه على قوله تعالى: «لِيَحْجُوكُمُ»<sup>1</sup>. فقال: " والمحاجة هي المخاصمة بالحجة، والحجة: معنى ثبت به الدعوى، وتقام مقام البينة، والحج هو الغلبة بالحجة"<sup>2</sup> ولما تكلم عن قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ»<sup>3</sup> بيّن معنى الأمي فقال: والأمي: الذي لا يعرف الكتابة، وهو منسوب إلى الأمم، والأم هو الأصل، قال تعالى: «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»<sup>4</sup>.

مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أن المؤلف كثيراً ما كان يفسر اللفظ أو نقيضه، ومن ذلك قوله: «والرحمة منك إرادتك الخير بمن هو دونك في الرتبة متصلة بإنعامك عليه، وضده الفظاظة والجفاوة»<sup>5</sup>، وقوله: نقيض الإيمان؛ الإنكار، ونقيض الغيب: الشهادة وقوله: «وهو (الطوع): قريب من الرضا، وهو ضد الكره»<sup>6</sup>.

4- نجد أن الكتاب لم يخل من العناية بلغات الألفاظ أيضاً، وضبطها، وربما أرجعها إلى القبائل التي تنطق بها، ففي نهاية سورة الفاتحة تحدث عن ( آمين )، فقال: « فيه لغتان: المد والقصر، كلاهما بالتخفيف »<sup>7</sup>، وعند حديثه عن ( المرء ) في قوله تعالى: « يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ »<sup>8</sup> قال: « ومرء وامرؤ لغتان، وفي التأنيث: امرأة وامرأة »<sup>9</sup>، وعند كلامه عن ( السلم ) في قوله تعالى:

<sup>1</sup> سورة البقرة، 76.

<sup>2</sup> الموسوعة الشاملة، ISLAMPORT.COM

<sup>3</sup> سورة البقرة، 78

<sup>4</sup> سورة الرعد، 39.

<sup>5</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، 83

<sup>6</sup> نفسه، ص 87

<sup>7</sup> نفسه، ص 90.

<sup>8</sup> سورة البقرة، 102.

<sup>9</sup> عبد القاهر الجرجاني، نفسه، ص 253.

« يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً »<sup>1</sup>. ذكر أن معناه الإسلام وقال بعد ذلك: « وإذا أريد به الصلح فالفتحة والكسرة لغتان ».

5- وكانت عنايته كبيرة بالمسائل الصرفية، ولكنه ظل بعيداً عن القضايا الخلافية، كما فعل في حديثه عن ( أشياء )، إذ اكتفى بتفسير قول الفراء: إنَّ أصل ( شيء ) ( شيء ) .

6- بالنسبة للشعر كان قليل الاستشهاد به، وقد استشهد بها على المسائل النحوية والصرفية واللغوية، واعتد بها.

وبعض الشواهد لشعراء جاهليين كامرئ القيس و النابغة الذبياني، وبعضها لشعراء مخضرمين كحسان بن ثابت، ووليد بن ربيعة.

7- ولقد كانت له كذلك عناية في بعض الأحيان بحروف المعاني، مثل قوله تعالى: « حتى تتبع »<sup>2</sup> فذكر أن « حتى » تدخل في الكلام لثلاثة معان، الغاية نحو ( إلى )، والتعليل نحو ( كي ) والعطف بمعنى المبالغة.

8- كما اهتم أيضاً بالجانب البلاغي في بعض المواطن، كلفظ الأمر في ثناء كلامه على قوله تعالى: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ »<sup>3</sup>، إذ قال في حديثه عن قوله: ( اذْكُرُوا ) : ولفظ ( افعل ) يحتمل عشرة معان منها: الإيجاب كقوله تعالى: « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ »<sup>4</sup>.

والإرشاد كقوله: « وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ »<sup>5</sup>.

والإباحة كقوله: « فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ »<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة 208.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 120.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 40.

<sup>4</sup> سورة البقرة، 43.

<sup>5</sup> سورة البقرة، 280.

<sup>6</sup> سورة الجمعة، 10.

والإعجاز كقوله: « فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ »<sup>1</sup>.

والتهديد كقوله: « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ »<sup>2</sup>.

والسؤال كقوله: « وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا »<sup>3</sup>.

والندب كقوله: « فَكَاتَبُوهُمْ »<sup>4</sup>.

والحث على الاعتبار كقوله: « فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ »<sup>5</sup>.

والإكرام كقوله: « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ »<sup>6</sup>.

والامتنان كقوله: « فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا »<sup>7</sup>.

ثم بين أهمية تنوع الأساليب في كلام العرب، ومجيء القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم فقال: ((ومن البلاغة عند العرب العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق وعن الإطباق إلى التجنيس، وعن التصريح إلى التعريض، وعن التعريض إلى التصريح، وترك لزوم الفن الواحد من هذه الفنون. والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو غاية الفصاحة عندهم على ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربي مبين))<sup>8</sup>.

**9-** اتبع نهج في تفسير الآيات منهج التفسير بالمأثور. أي: تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة، أو بأقوال الصحابة والتابعين، فمن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن ما ذكره في تفسير قوله تعالى: « غَيْرِ

<sup>1</sup> سورة البقرة، 23.

<sup>2</sup> سورة فصلت، 40.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 286.

<sup>4</sup> سورة النور، 33.

<sup>5</sup> سورة الزخرف، 25.

<sup>6</sup> سورة الأعراف، 49.

<sup>7</sup> سورة الملك، 15.

<sup>8</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»<sup>1</sup>. إذ قال: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم اليهود لقوله تعالى في شأنهم: «فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ»<sup>2</sup>. و ( لَا الضَّالِّينَ )، النصارى. لقوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»<sup>3</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا»<sup>4</sup>. بين المراد بالظلم في الآية واستدل لما ذهب إليه بآيتين أخريين، فقال: و ( الظلم ) ههنا الكفر. كما في قوله تعالى: «وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ»<sup>5</sup>. وقال تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»<sup>6</sup>.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة في قوله تعالى: «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا»<sup>7</sup>.

قال: و ( هود ) جمع هائد، كما أن ( عودا ) جمع عائد، وهو الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أياما.

وفي الحديث: ( ومعهم العوذ المطافيل )<sup>8</sup>. وفي قوله تعالى: «لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ»<sup>9</sup>، بين أن المسجد المراد في الآية «مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، واستدل بحديثين نبويين شريفيين فقال: «وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هو مسجدى هذا، يدل عليه ما روى أبو أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أنه لما أنزلت «فيه رجال يحبون أن يتطهروا» قال عليه الصلاة والسلام: يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم هذا؟ قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجلي بالماء قال: هو ذلك فعليكموه»<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، 07

<sup>2</sup> سورة البقرة، 90

<sup>3</sup> سورة المائدة، 77

<sup>4</sup> سورة البقرة، 59

<sup>5</sup> سورة الأنعام، 82

<sup>6</sup> سورة لقمان، 13

<sup>7</sup> سورة البقرة، 111

<sup>8</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر

<sup>9</sup> البقرة، 108

<sup>10</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر

ومن أمثلة تفسير القرآن بالأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين ما نقله من أقوال عن المراد بالشجرة في قوله تعالى: « وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ »<sup>1</sup> إذ قال: وهي شجرة السنبلة عن ابن عباس وأبي مالك وعطية ووهب وقتادة، وشجرة العنب عن أبي مسعود والسدي وجعدة بن هيرة وإحدى الروايات عن أبي عباس، وشجرة العلم عن الكلب، يعني علم الخير والشر.<sup>2</sup>

وفي قوله تعالى: « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا »<sup>3</sup>، ذكر أنّ معنى ببعضها ببعض البقرة، ثم نقل الأقوال في المراد به فقال: « ابن عباس، إنه العظم الذي يلي الغضروف، وعن الضحال أنه لسانها، وعن قتادة وعكرمة أنه فخذها، وخص الكلبي الفخذ اليمنى، وعن سعيد بن جبيرة أنه عجب ذنبها الذي تركب عليه الخلق ولا تأكله الأرض، وعن السدي أنه المضغة التي بين كتفها، وقيل: هو الأذن »<sup>4</sup>

**10-** كان المؤلف يرد في مواضع متفرقة من كتابه كل ما ينقله مبيناً وهماً أو معترضاً على رأي، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في قوله تعالى: « وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ »<sup>5</sup>. إذ قال: (( وقول أبي عبيدة و أبي عبيد: إنّ معنى قوله: ( سفه نفسه ): أهلكها وأوبقها، لا معنى له إلا أن يحمل قولهم: سفه الشراب، على معنى استهلك ))<sup>6</sup>.

**11-** لقد كان الكاتب شغوفاً بالروايات التاريخية، ولا سيما في سورة الأعراف، فذكر قصص عدد كبير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أقوامهم، وقد نصل أكثر في بعض القصص إلى جد أنه ذكر لنا أسماء أبناء إبراهيم ويعقوب عليهما السلام وحتى توأمتي قاييل وهابيل.

<sup>1</sup> سورة البقرة، 35

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر

<sup>3</sup> سورة البقرة، 73

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر

<sup>5</sup> سورة البقرة، 130

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

أورد الجرجاني نصاً يشتمل على أنواع المعنى الثلاثة المعجمي والدلالي والوظيفي، يقول فيه: " ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمرأً ونهياً وتعجباً ( المعنى المعجمي ) وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة ( المعنى الوظيفي ) هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبها على ما هي موسومة به (المعنى الدلالي) " <sup>1</sup>، وقد قسم الجرجاني المعنى الدلالي قسمين فقال: " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده بل ولكن يدلك على اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. وإذا قد عرفت هذه الجملة فهانها عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " <sup>2</sup> يفرق الإمام بين اللغة الفنية والكلام المعتاد، لا من حيث الصحة اللغوية أو النحوية، بل من حيث الفنية التي تنطلق من قوانين اللغة، فليس النظم " إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها " <sup>3</sup>. يعني الإمام إن اللغة الفنية " النظم " ليست محصورة في قوانين اللغة، بل يشمل علم النحو لدى عبد القاهر قوانين اللغة كما هي عند النحاة، ويشمل كذلك الخصائص الفنية.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 47

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 177.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 81.

## الظواهر اللغوية في درج الدرر:

### 1- الاشتقاق:

ظاهرة الاشتقاق تتميز بها لغة العرب فاتصفت بالمرونة والسعة، واللغة العربية اشتقاقية، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وصححه عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قال تعالى: " أنا الرحمن الرحيم شققت الرحم وإني شققت لها إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم وإني شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته " <sup>1</sup>.

### الاشتقاق في اللغة:

((الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالاً، مترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه، شقق الكلام، إذا أخرجه أحسن مخرج)) <sup>2</sup>، شقق الكلام، وسعه ويينه وولد بعضه من بعض، أخرجه أحسن مخرج، وشقق الحطب وغيره: إذا شقه {شقا} فتشقق. ومن المجاز، شقق الكلام تشقيقاً: أخرجه أحسن مخرج.

### الاشتقاق في الاصطلاح:

اشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفاً حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر، فهو لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيباً، وتغايرهما، فالاشتقاق يقصد به استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى وفي الحروف الأصلية.

<sup>1</sup>المنذري، الترغيب والترهيب، رواه بإسناد حسن، ج3/230.

<sup>2</sup>ابن منظور، لسان العرب، ج10/184، الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، 1503.

أو استنباط صيغة من أخرى، والاشتقاق – في أغلب صوره – يتضمن إطالة لبنية الكلمة بالنسبة إلى مصدرها، ولعلّ هذا الطريق هو أقرب الطرق وأكثرها نتائجاً في تنمية اللغة، فهناك آلاف الكلمات المشتقة يجري استعمالها في يسر وسلاسة.

((وتم التعوّد عليها استغناء عن اللفظ الأجنبي، مثل: السيارة، والحوامة، والحاسب، والحاسوب، والهاتف، الاشتقاق هو صَوُّغُ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف))<sup>1</sup>، فالكلمات العربية تأتي على هيئات صرفية تسمى الصيغ، وأن الخلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية، هو في الواقع اختلاف بين هذه الصيغ. والارتباط الذي قال به النحويون، والصرفيون بين الكلمات المتحدة الأصل توجد في الصيغتين المترابطتين بنفس الترتيب، وإن اختلف الهيكل في كلمة عنه في الأخرى، فلا بد إذاً أن ترد الكلمتان إل أصل واحد، وأما معنوي؛ فلأن الملاحظ أن الكلمتين اللتين توصفان هذا الوصف، تعبران عن معنى عام واحد وتختلفان في دائرته، كما تختلف الصيغتان، لا كما تختلف المادتان المعجميتان، فلا بد إذاً أن ترد هاتان الكلمتان إلى مادة واحدة.

### الأصل في الاشتقاق:

اختلف البصريون والكوفيون في أصل الاشتقاق، فذهب البصريون إلى أن أصله هو المصدر في حين يرى الكوفيون أن الفعل أصل الاشتقاق، وذهب هؤلاء اللغويون في ذلك مذهبين شهيرين: " ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل، وفرع عليه "، ((وأما في ذلك بحجج بأن المصدر يصح لصحة العقل، ويعتدل باعتداله؛ وأن الفعل يعمل فيه، وأنه يذكر تأكيداً للفعل، وأنه لا يتصور معناه إلا بفعل فاعل، وأنت ترى أن المراد هنا هو جعل الفعل أصل المشتقات، لا أصل المصدر فحسب، وإنما اختص المصدر بالذكر؛ لأن البصريين جعلوه أصل الاشتقاق، فجعل الكوفيون من هذا الأصل فرعاً، وانسحب ذلك على كل ما عداه من الصيغ بالضرورة، والرد على حجج الكوفيين واحدة بعد الأخرى، فالمصدر لا يأتي إلا صحيحاً، ولا يعتدل منه إلا ما فيه زيادة عن الأصل، وهو فرع عن الثلاثي، وهذا الذي يعتدل إنما يعتدل للتشاكل، وذلك لا يدل على الأصالة والفرعية))<sup>2</sup>. " فالأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر وأصدق ما يكون في الأفعال

<sup>1</sup> ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسئلهها وسنن العرب في كلامها، ص 35-36.

<sup>2</sup> تمام حسان، منهج البحث في اللغة، ص 179.

المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان ويغلبُ في العلم ويقل في أسماء الجنس كغُرَاب يمكن أن يُشتق من الاغتراب وجراد من الجَرْد<sup>1</sup>.

وفي قول الحق سبحانه: { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا }<sup>2</sup> يتبنى الإمام رأي البصريين في أصل الاشتقاق بقوله ((: { ويذرون } يتركون، وهذا فعل لا مصدر له، ولا يشتق منه الاسم، ولا يذكر بلفظ الماضي))<sup>3</sup>. قال أهل اللغة: (( أماتت العرب الفعل من ذر في الماضي، فلا يقولون وذرت ))<sup>4</sup>. فذكر أن الفعل (يذرون) لا مصدر له فلا يشتق منه الاسم ولا يذكر بلفظ الماضي؛ فالبصريون يقولون أن أصل الاشتقاق المصدر وليس الفعل وهذا يخالف الكوفيين فيما ذكروا أن الأصل الفعل.

### الاشتقاق في تفسير درج الدرر:

في (درج الدرر) أمثلة كثيرة عن مشتقات الألفاظ ذكرها الإمام، ونخص منها ما يسمّى بالاشتقاق الأصغر أو العام أو الصّرفي، وسمّاه ابن جنيّ الاشتقاق الصّغير وذكر أن المراد به: " أن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه "<sup>5</sup>.

يوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني الاشتقاق في مواضع كثيرة، ومنها في سورة الفاتحة حين ذكر البسملة نقل عن بعضهم أنّ اسم الجلالة (الله) غير مشتقّ، ثم نقل رأيين في اشتقاقه فيقول: " وقيل: مشتق من وله يوله، وقيل: من لا يلوّه ". وتحدّث بعده عن اشتقاق لفظي ( الرحمن الرحيم )، فذكر أنهما " اسمان مشتقان من الرحمة "<sup>6</sup>. وفي قوله سبحانه: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا }<sup>7</sup>، يبين: " اتّصالها بما قبلها من حيث ذكر الكفار وهم ملحدون،

<sup>1</sup> السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1/ 278.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 234.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ج 1/ 403.

<sup>4</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6/ 98.

<sup>5</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2/ 136.

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/ 100.

<sup>7</sup> سورة الأعراف، 180.

(الأسماء): التسميات التي يتكلم الله بها. و(الحسنى)، تأنيث الأحسن {الَّذِينَ} يلحدون في أسمائه: الذين اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله عزوجل، كالكالات من الله، والعزى من العزيز، والذين أنكروا إطلاق تسميتين على مسمى واحد فقالوا: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} <sup>1</sup>. ويدخل في جملة هؤلاء الذين قالوا: أسماء الله مخلوقة، والذين أطلقوا على الله اسم الجسم، والذين فرقوا بين الأسماء المشتقة من صفات الذات وبين الأسماء المشتقة من صفات الفعل <sup>2</sup>.

وفي قول سبحانه: {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} <sup>3</sup> ذكر معنى (المِلَّة)، ثم بيّن اشتقاقها بقوله: ((والمِلَّة: معظم الدّين والشرعية، عن ابن الأعرابي، قال أبو العباس: يعني بالمعظم: الجملة، وكأنّها مستعارة من المِلَّة التي هي الدّية والأرض؛ لأنّها مسنونة مشروعة مثلها. قيل: اشتقاقها من المِلَّة وهي الرّمل المحمّى، وقيل: من قولك: تملّيت الثّوب، إذا لبستها ملاوة من الدهر)) <sup>4</sup>، وفي قول الحق سبحانه: " {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} <sup>5</sup> يوضح الإمام: ((ألهم ووفق لا أنّه أخبر ولقّن؛ لأنّه لو لقّنه لما كان له مزيّة على الملائكة، و (آدم) مشتقّ من أديم الأرض، أو أدمة اللون)) <sup>6</sup>، وفي قوله سبحانه: {شَهْرُ رَمَضَانَ} <sup>7</sup> بيّن معنى (الشّهر)، ثم تحدث عن جمعه واشتقاقه: ((وجمعه: أشهر وشهور. مشتق من الشّهرة)) <sup>8</sup>. وبين معنى (السّفر) واشتقاقه عند كلامه في تفسير الآية الكريمة نفسها: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ} فيقول: ((واسم (السفر) في اللغة يشمل أي خروج من الوطن ولو مدّة ساعة، إذ اشتقاقه من سفارة السّفير، أو الإسفار وهو الظهور)) <sup>9</sup>، وفي قوله سبحانه: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} <sup>1</sup> بيّن

<sup>1</sup> سورة الفرقان، الآية 60.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/ 711.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 120.

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/ 235.

<sup>5</sup> البقرة، 31.

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/ 131.

<sup>7</sup> البقرة، 185.

<sup>8</sup> عبد القاهر الجرجاني، نفسه، ج 1/ 286.

<sup>9</sup> نفسه، ج 1، 287.

بين معنى (المائدة) واشتقاقها بقوله: ((و(المائدة): الخوان حالة كون الطعام عليه، مشتق من المبد، وهو العطاء والتنع والعون، تقول: مادي ويميدي))<sup>2</sup>. وفي قوله سبحانه: { رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }<sup>3</sup>، بين الإمام { قرة أعين } عبارة عن المرضي، وصدده سخنة العين، وسخين العين، { واجعلنا للمتقين إماماً } أي: وقفنا للتقوى، وأتبعنا ذريَّتنا بالتقوى، وإمّا لم يقل لاعتبار كلّ واحد من الراعين، أو لاعتبار المصدر، أو لاعتبار كون الاسم مشتقاً من الفعل، كقوله: { إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }<sup>4</sup>. وفي قول الحق سبحانه: { إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ }<sup>5</sup> يوضح الإمام: { هدنا إليك } تبنا إليك، وقال ابن عرفة: ((سكنا إلى أمرك، ومنه الهوادة. قيل ومن هذا اللفظ اشتقاق لقب اليهود، وقيل: بل اللفظة من لقبهم))<sup>6</sup>.

يقول سبحانه: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }<sup>7</sup>، بين الإمام: (({ أجيب } أنفذ الدعوة وأجيز، وذلك يكون بالقول والفعل جميعاً، ونقيضه الإعراض، فأما الردّ فإنه نوع إجابة حقيقة أو مجازاً، والإجابة بمعنى الاستجابة كالإبشار والاستبشار، والجواب مشتق من الإجابة، أو اسم موضوع اشتق منه الإجابة، وإجابة الله إيانا هي قبول دعوتنا، وإجابتنا إياه قبول أمره))<sup>8</sup>.

## 2- الترادف:

تتعد أشكال العلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن هذه الأشكال علاقة الترادف، والعلاقة تتمثل في وجود كلمات تتبادل المواقع مع بعضها دون أن يتغير المعنى على الرغم من اختلاف المكونات الصوتية لهذه الكلمات، والعلاقة في هذه الحالة علاقة إيجاب، تدل على وجود قرابة بين الكلمتين أو

<sup>1</sup> المائدة، 112

<sup>2</sup> عبد القاهر، نفسه، ج 1/ 592.

<sup>3</sup> الفرقان، 74.

<sup>4</sup> الشعراء، 16

<sup>5</sup> الأعراف، 156.

<sup>6</sup> الجرجاني، نفسه، ج 2، 390/391.

<sup>7</sup> سورة البقرة، 186.

<sup>8</sup> الجرجاني، المرجع السابق، ج 1/ 289.

الكلمات التي تقبل التبادل مع بعضها، ((فالعربية تتصف بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، فإن لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معانٍ متشعبة، قديمة وحديثة، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي، لا نظير له في لغات العالم والقاعدة في فقه اللغات بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات))<sup>1</sup>.

### الترادف في اللغة:

الترادف أصله اللّغوي المادي ركوب أحد خلف الآخر فيقال ردف الرجل وأردفه أي ركب خلفه، وارتدّفه خلفه على الدّابة، فالردف هو ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، ومن هذا قولهم مرادفة الجراد أي ركوب الدّكر على الأنثى، ويقال لليل والنّهار ردفان لأن كل واحد منهما ردف صاحبه أي يتبعه، وقد فسر قوله تعالى: { أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ }<sup>2</sup> بمعنى يأتون فرقة بعد فرقة على رأى الرّجّاج وقال الفراء ((مردفين متتابعين))<sup>3</sup>، ((الرّدف: ما تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيءٍ فهو التّرادف))<sup>4</sup>.

### الترادف في الإصطلاح:

((عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، ويطلق على معنيين أحدهما الاتحاد في الصدق، والثاني الاتحاد في المفهوم، ومن نظر إلى الأول فرق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما))<sup>5</sup>، وقد عرّف علماء العربية الترادف عن طريق إخراج المحترزات، فالترادف هو: ((الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))<sup>6</sup>، وهو ما

<sup>1</sup> ينظر، صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 292-293.

<sup>2</sup> سورة الأنفال، 09.

<sup>3</sup> أحمد اللباييدي الدمشقي، اللطائف في اللغة، معجم أسماء الأشياء، ص 11.

<sup>4</sup> الخليل بن أحمد، العين (ج 22/8)، ابن منظور، لسان العرب (ج 9/114).

<sup>5</sup> علي بن شريف الجرجاني، التعريفات، ص 56.

<sup>6</sup> السيوطي، المزهر، ج 1/ 402.

اختلف لفظه واتفق معناه. وحدّه الشريف الجرجاني بقوله: (( ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو ضد المشترك، أخذاً من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر؛ كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد))<sup>1</sup>، وعند أهل العربية والأصول والميزان فهو ((توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة، وتلك الألفاظ تسمى مترادفة فبقيد اللفظين خرج التأكيد اللفظي لعدم كون المؤكّد منه والمؤكّد لفظين مختلفين))<sup>2</sup>.

وينكر بعض العلماء القدامى وقوع الترادف في العربية، يقول أبو علي الفارسي: (( كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، ومنهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه الصفات ))<sup>3</sup>. وهذا لا يعني أنه لا يقر بالترادف لكنه يفرق بين الاسم والصفات بقوله: (( وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة المترادفة، فأين هذا من ذاك، وأن لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نُهيّة ))<sup>4</sup>.

#### أسباب الألفاظ المترادفة:

يذكر السيوطي في المزهرة أسباب الألفاظ المترادفة، قال أهل الأصول: لِيُوقَعَ الألفاظ المترادفة سببان:

<sup>1</sup> علي بن شريف، نفسه، ص 199.

<sup>2</sup> ينظر: محمد علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، ص 406.

<sup>3</sup> صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، ص 295.

<sup>4</sup> ابن فارس، المرجع السابق، ص 19.

**الأول:** ((أن يكون من واضعين وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداها بالأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفى الوضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية.

**الثاني:** أن يكون من واضع واحد وهو الأقل وله فوائد:

منها: أن تكثر الوسائل - أي الطرق - إلى الإخبار عما في النفس فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به وقد كان بعض الأذكاء في الزمن السالف أُلْتُغ فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك.

ومنها: التوسّع في سلوك طُرُق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع ولا يتأتى ذلك باستعمال مُرادفه مع ذلك اللفظ.

الثانية: أن الترادف على خلاف الأصل هو التباين وبه جزم **البيضاوي** في منهاجه. 60

الثالثة: قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفي وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين.

الرابعة: الألفاظ التي بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة فالمتواردة كما تسمى الخمر عقارا وصهباء وقهوة والسبع أسدا وليثاً وضرغاماً، والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة<sup>1</sup>.

**الترادف في تفسير درج الدرر:**

وردت في الكتاب أمثلة كثيرة على الترادف، وذلك من خلال تفسير الإمام الألفاظ بما يرادفها، ولكنّه لم يستعمل مصطلح الترادف في ما ذكره. ومن ذلك في قول الحق سبحانه: { وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }<sup>2</sup> فقال: " وعثي يعثى وعاث يعيث: أفسد، وجمع اللفظين في

<sup>1</sup> السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1/319.

<sup>2</sup> البقرة، 60.

معنى واحد نهاية في البلاغة، كقوله { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ }<sup>1</sup>، وقوله: { وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ }<sup>2</sup>، وقوله: أم { أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ }<sup>3</sup> وقال ذو الرمة:

لَمَيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لَعَسُ      وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ<sup>4</sup>

ف (عاث) و (أفسد) بمعنى واحد، وكذلك: الرِّجْسُ والوثن، والوجه والإسفار، والسرّ والتجوى، والحوّة

واللّس. وفي قوله سبحانه: { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ }<sup>5</sup> قال: (( أنفذناك، وقد يكون الإرسال إطلاقاً في غير هذا الموضع ))<sup>6</sup>، فالإرسال والإنفاذ والإطلاق مترادفات. ويقول { الْعَفْوَ } الصّفح والمتاركة، وذلك قبل آية السيّف، أو بعد ما يظهرون من أنفسهم الإيمان، أو خاصّة في الدّاري والنّسوان. وعن أبي عبّاس العفو: الزكاة<sup>7</sup>. وفي تفسيره الآية الكريمة: { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }<sup>8</sup> ذكر مثالين على التّرادف، فقال: " (النّيل) هو الإدراك والإصابة، و(العهد): الوصية والأمانة لقوله: { وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } " <sup>9</sup>. فالنّيل والإدراك والإصابة بمعنى واحد، والعهد والوصية والأمانة بمعنى واحد أيضاً. وفي بيانه معنى { عَتَوْا } في قوله تعالى: { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ }<sup>10</sup> قال: (( { وَعَتَوْا } تَمَرَّوْا وطغوا)).<sup>11</sup>، فالعتوّ والتّمرد والطّغيان مترادفات. وفي قوله سبحانه: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

<sup>1</sup>الحج، 30.

<sup>2</sup>عبس، 38.

<sup>3</sup>الزخرف، 80.

<sup>4</sup>الجرجاني، المرجع السابق، ج 1/165.

<sup>5</sup>البقرة، 119.

<sup>6</sup>الجرجاني، نفسه، ج 1/230.

<sup>7</sup>نفسه، 718.

<sup>8</sup>نفسه، 237.

<sup>9</sup>البقرة، 124.

<sup>10</sup>الجرجاني، نفسه، 143.

<sup>11</sup>الأعراف، 77.

اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ<sup>1</sup> { يَقول: " { وَجَلَتْ } خافت وفزعت، وفي هذه الحالة هي الأولى، وأما الحالة الثانية فالأطمئنان والاستئناس، قال الله تعالى: { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ }<sup>2</sup>.

وفي تفسيره معنى (لفت) في قوله سبحانه: { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا } يقول: (( { لِنَلْفِتَنَّا } لتصرفنا))<sup>3</sup>، أي أن (لفت) و (صرف) بمعنى واحد. قال سبحانه: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }<sup>4</sup> يقول: (( { قد تبين الرشد الرشد } الإصابة والاستقامة، و (الغي) ضده، والرشد والرشد بمعنى واحد))<sup>5</sup>.

أما في قوله سبحانه: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون }<sup>6</sup> يقول: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي } أتموا عهدي الذي أخذت عليكم في هذا النبي الأمي، و(( قيل: فرائضي التي فرضت عليكم، والإيفاء والوفاء بمعنى، والعهد: الوصية))<sup>7</sup>. ويقول الإمام: { الذي اختلفوا فيه } هو قيام الساعة، قال الله تعالى: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ }<sup>8</sup>، وقال: { النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ }<sup>9</sup>. وقيل: هو القرآن. فقيل: إنه سحر وشعر وكهانة. يدل عليه قوله: { لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> الزمر، 23.

<sup>2</sup> سورة يونس، 78.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/826.

<sup>4</sup> سورة البقرة، 256.

<sup>5</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج 1/352.

<sup>6</sup> سورة البقرة، 40.

<sup>7</sup> عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ج 1/143.

<sup>8</sup> سورة الذاريات، 7-8.

<sup>9</sup> سورة النبأ، 2-3.

<sup>10</sup> سورة النحل، 44.

### 3- المشترك اللفظي:

اهتم عدد كبير من اللغويين والبلاغيين في هذه الظاهرة، وتنبه العلماء لها، وأشاروا إلى شواهدا وإلى أثرها الدلالي في بيان معاني القرآن، فالمشترك اللفظي من الظواهر الدلالية الخاصة التي دعت عوامل متعددة لوقوعه، فكما تتطور الكلمات وتتغير معانيها مع احتفاظها بأصواتها. تأتي ظاهرة المشترك اللفظي إما على أساس تداخل اللغات وتطور الألفاظ وإما للاستعمال المجازي، فالتعبير عن المعنى المراد يتسع عن طريق المشترك اللفظي، فيثير قضايا بلاغية ودلالية مرتبطة بظواهر لغوية تناسب ظروف الاستعمال ومقتضى الحال والسياق.

#### المشترك اللفظي في اللغة:

الشركة والشركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركتنا بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركنا وشارك أحدهما الآخر. وشاركت فلاناً: صرت شريكه، واشتركتنا وتشاركنا في كذا، و (( الشريك يجمع على شركاء وأشراك، مثل شريف وشرفاء وأشرف. والمرأة شريكة، والنساء شرائك. وشاركتُ فلاناً: صرت شريكه. واشتركتنا وتشاركنا في كذا. وشركته في البيع والميراث أشركه شركة ))<sup>1</sup>.

#### المشترك في الاصطلاح:

ذكر الزبيدي أن المشترك اللفظي هو: (( اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ))<sup>2</sup>. وجدير بالذكر الإشارة إلى قول سيبويه حيث قال: ((اعلم من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحداً، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ))<sup>3</sup>، وقال السرخسي: (( وأما المشترك فكل لفظ يشترك فيه معان أو أسامٍ لا على سبيل الانتظام بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد

<sup>1</sup> الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ص1593، مادة شرك).

<sup>2</sup> الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ج1/25).

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب (ج1/24).

وإذا تعين الواحد مراداً به انتفى الآخر مثل اسم العين فإنه للناظر ولعين الماء وللشمس وللميزان وللتقيد من المال وللشيء المعين<sup>1</sup>)). ويقول صبحي إبراهيم الصالح أن: (( فالمشترك هو ما أتحدث صورته واختلف معناه، ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه؛ لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان لينتج إلا اتحاد معناه، ولكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك، بينما تباينت طرائق استعمالها، إما لتباين البيئات اللغوية وإما لتفاوت المستعملين في مدى ولوعهم بالمجاز أو إثارة الحقيقة<sup>2</sup>)). ويقول الإمام (( في تفسيره الآية الكريمة: { وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا }<sup>3</sup> { لسان صدق } ثناء حسنا من جهة الله تعالى وملائكته وأوليائه وأهل الكتاب أجمعين. { علياً } رفيعاً شريفاً<sup>4</sup>. يقول (( { لسان صدق } هو الذكر الجميل، وإنما تمنى ذلك ليؤمنوا به، فيسعدوا، ويصلوا عليه، فيزاد بصلاتهم خيراً ورحمة ))<sup>5</sup>. يقول في موضع آخر: (( لأن عمل اللسان هو رافع الكلم الطيب الذي في الصدر، والكلم الطيب على لسانه هو رافع أعماله الصالحة بالأركان ))<sup>6</sup>. ويضع السيوطي حداً فاصلاً حيث يقول: (( وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ))<sup>7</sup>، وللخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معنا

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب

<sup>1</sup> السرخسي، أصول السرخسي (ج1/126)

<sup>2</sup> ينظر: صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة (ص302).

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة شرك (ج10/450).

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج2/272)

<sup>5</sup> المصدر نفسه (ج2/395).

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج2/488).

<sup>7</sup> السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/292).

## كانوا وفيهم طفلة حرّة تفتّر عن مثل أقاحي الغروب

((فالغروب الأول: غروب الشمس والثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة والثالث جمع غرب: وهي الوهاد المنخفضة))<sup>1</sup>، وهذا يضيف مرونة واتساع للغة ويضفي عليها لمسة جمالية.

### الأضداد:

أما عن المشترك اللفظي وعلاقته بالتضاد، يقول ابن الأنباري عن مفهوم التضاد: ((هذا كتاب ذكر الحروف (الألفاظ) التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين))<sup>2</sup>، إن ((من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض، قال: وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده))<sup>3</sup>. وفي قول الحق سبحانه: { وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقَضى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }<sup>4</sup> وقوله سبحانه أيضاً: { سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }<sup>5</sup> كلمة (أسر) من ألفاظ الأضداد: يقال: أسرت الحديث كتمته وأسرته أظهرته.

يوضح الإمام: { وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ } ((عند أول لحظة ثم الحسرة كما يحلفون ويحشدون ثم يعترفون ويتلاعبون))<sup>6</sup>، { وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ } في أول أمرهم، وحسرتهم بعد ذلك. ((ممن أسر القول أو جهر أو من استخفى بالليل وسرب بالنهار))<sup>7</sup>، ويقول الإمام في تفسيره الآية الكريمة: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }<sup>8</sup> يعلمون ويستيقنون، كقوله: { وَأَنَا ظَنَّا أَن لَنُ

<sup>1</sup> ينظر: المصدر نفسه (ج1/297-298).

<sup>2</sup> ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص60)

<sup>3</sup> المصدر السابق (ص60)

<sup>4</sup> سورة يونس، 54.

<sup>5</sup> الرعد، 10.

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج1/823).

<sup>7</sup> المصدر نفسه، (ج2/484)

<sup>8</sup> سورة البقرة، 46.

نُعْجَزَ اللَّهُ {<sup>1</sup>، و { إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ }<sup>2</sup>. ((والظنّ من الأضداد يطلق على معنى اليقين وحقيقة العلم، ويطلق على معنى الحسبان، وهو مجاوزة الشكّ قليلاً والميل إلى أحد النقيضين))<sup>3</sup>، والأضداد يتجلى في احتواء اللفظة الواحدة على معنيين مشتركين في النطق ولكنهما متباينان في الدلالة، وهذا يسهم في نمو الثروة اللفظية والاتساع في التعبير.

### الاشتراك بين الحقيقة والمجاز:

تأتي ظاهرة المشترك اللفظي إمّا على أساس تداخل اللغات وتطور الألفاظ وإمّا للاستعمال المجازي أو كما بين ابن سيده: ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتسير بمنزلة الأصل))<sup>4</sup>، وقد يكون المجاز أحد أسباب وقوع المشترك اللفظي بأن يكون أحد المعنيين متفرعاً في الأصل عن الآخر بطريق المجاز ثم نسي المجاز بمرور الوقت، يذكر الشوكاني: (( وهو اللفظة الموضوعية لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعاً أولاً، من حيث هما كذلك، فخرج بالوضع: ما يدل على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز ))<sup>5</sup>؛ لأن المعاني المجازية التي يرتبط بها اللفظ إنما نشأ عن تطوره والتوسع فيها، فنقل اللفظ إليها، لكن إذا كانت كلمات المشترك اللفظي تملك نفس النطق والهجاء، وتتعد معانيها، يلجأ إلى المعيار الدلالي، وإذا لم توجد علاقة دلالية بين المعنيين فليس مشكلة؛ لأن كلاهما كلمة مستقلة، أمّا إذا وجدت علاقة ومشابهة فهما كلمة واحدة تطورت عبر الزمن أو عن طريق المجاز. فاللفظ المطلق على معان مختلفة ثلاثة أقسام: مستعارة ومنقولة ومخصوصة باسم المشترك.

<sup>1</sup> سورة الجن، 12.

<sup>2</sup> سورة الحاقة، 20.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والصور (ج/161).

<sup>4</sup> ابن سيده، المخصص (ج/173/4).

<sup>5</sup> الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (ج/57/1).

# المبحث الرابع

مادة الإعجاز البياني في تفسير الجرجاني

المبحث الرابع: مادة الإعجاز البياني في تفسير الجرجاني:

أ- البحث اللغوي:

أولاً وجوه تتصل بعلم البلاغة:

الوجه الأول من الإعجاز اللغوي: الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهدها العرب .

أ- تكلم في هذا الجانب كثير من السلف كما ذكر السيوطي - رحمه الله - في الإتيان مثل الجرجاني في دلائل الإعجاز و الباقلاني في إعجاز القرآن.

وأيضاً الرماني (ت386) في: (النكت في إعجاز القرآن) قسم البلاغة في عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمن، والمبالغة، وحسن البيان، ثم يفسرها باباً باباً، مستشهداً لها بالقرآن.

ومن المحدثين مصطفى صادق الرافعي ومحمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) ، سيد قطب في ظلال القرآن والتصوير الفني في القرآن والشعراوي في (الخواطر ومعجزة القرآن).<sup>1</sup>

وشهد على ذلك كبار الكفار مثل الوليد بن مغيرة، وغيره، فقد كانوا يعلمون الشعر ويتذوقونه، وكما سبق علقوا على الكعبة المشرفة ما يسمى بالمعلقات السبع، فكان عجزهم اعترافاً بالدرجة العليا لبلاغة القرآن على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

الوجه الثاني من الإعجاز اللغوي: خلوه من العيوب اللغوية<sup>2</sup>

أ- تعريف علم النحو:

علم النحو، ويسمى علم الإعراب، وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقماً، وما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها في التراكيب.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط دار المنار 1997 ص114.

<sup>2</sup> للاستزادة راجع كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم.. د. محمد داود.

## ب- نشأة علم النحو:

أشهر القصص في تاريخ النحو ما أورده الأصفهاني في الأغاني، ((إذ دخل أبو الأسود الدؤلي في وقدة الحر بالبصرة على ابنته، فقالت له يأبى ما أشد الحر؟ فرفعت كلمة (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهرا ناجرا، فقالت يأبى إنما أخبرتك ولم أسألك، والحقيقة أنه كان عليها أن تقول إن أرادت إظهار التعجب من شدة الحر والإخبار عنه ماأشدَّ الحر))<sup>1</sup>.

إن علم النحو مبني على الاستقراء، فسبويه، مثالا: أخذ يحلل كل النصوص الواردة عن العرب، من شعر وخطابة ونثر وغير ذلك، فوجد أنهم العرب دائماً يرفعون الفاعل في كلامهم، فاستنبط من ذلك قاعدة " الفاعل مرفوع " وهكذا نتجت لدينا قاعدة نحوية تسطر في كتب النحو، ليتعلمها الأعاجم فيستقيم لسانهم بالعربية إذا جرت عليه، وهو أن العرب لم تكن لها لهجة واحدة، ولم تكن كلها تسير على نفس القواعد النحوية ذاتها، ولم تكن تلتزم كل قبيلة منها بنفس المعاملات النحوية، وليس معنى ذلك أنه كان لكل قبيلة نحوها الخاص بها كالا، وإنما اشتركت كل قبائل العرب في معظم القواعد النحوية المشهورة الآن لكنها أبدأ، لم تجتمع على كل تلك القواعد بعينها وكما تعلمون على سبيل المثال الخلافات بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية.

## ج- القرآن الكريم هو المهيمن على اللغة العربية وعلومها:

أهم مصادر العلماء التي اعتمدوا عليها في الاستقراء هو القرآن العظيم نفسه.

إن علماء النحو يستدلون على صحة قاعدة نحوية ما بورودها في القرآن، ليس في قراءة حفص عن عاصم فقط، بل يكفي ورودها في أي قراءة متواترة أخرى، أي أن القرآن عند النحاة هو الحاكم على صحة القاعدة القانونية، وهي التي تسعى لتجد شاهداً على صحتها في أي من قراءاته المتواترة، فالقرآن هو الحاكم على النحو وليس العكس.

وضع النحويون القرآن مادة استنباط للقواعد النحوية وتطبيقها، وألف اللغويين (غريب القرآن) .

<sup>1</sup> كشف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي: مكتبة لبنان. ط: 1-1-17.

## د- شبهات حول أخطاء قرآنية مزعومة:

من الشبهات والرد عليها<sup>1</sup> رفع المعطوف على المنصوب:

جاء في سورة المائدة: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ }<sup>2</sup>،

وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول والصابئين كما فعل هذا في سورة البقرة 62 والحج 17.

الجواب: لو كان في الجملة اسم موصول واحد لحق لك أن تنكر فإنه لا يكون إلا وجه واحد: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالصَّابِئِينَ } لكن لا يلزم لاسم الموصول الثاني أن يكون تابعاً لإن. فالواو هنا استئنافية وليست عطفاً على الجملة الأولى. والصابئون رفع على الابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في (إن) من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى: حكمهم كذا، والصابئون كذلك، هذا ما أرجحه ابن سيويه في مخالفة الإعراب، وأنشد شاهداً له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا على شقاق

أي فاعلموا أننا بغاة وأنتم كذلك، ويكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره محذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا، ولا محل لها، كما لا محل للجملة التي عطفت عليها، وإنما قدم (الصابئون) تنبيهاً على أن هؤلاء أشد إغلاً في الضلالة واسترسالاً في الغواية لأنهم جردوا من كل عقيدة.

الوجه الثالث من الإعجاز اللغوي: اشتماله على المعاني الدقيقة:

من دقة اللفظ في القرآن الكريم<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إعراب القرآن 526/2.

<sup>2</sup> سورة المائدة 69.

<sup>3</sup> من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، دار النهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة -

يتميز أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له، تلك الكلمة بعينها وإن كلمة أخرى لا تستطيع توفيه المعنى الذي وفته به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء كلمة - تحمل إليك معنى جديدا ولما بين الكلمات من فروق ولما يبعث بعضها في نفس من إيجاءات خاصة دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال: { لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }<sup>1</sup>، فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة (راعنا) لها معنى في العبرية مذموم نهي المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }<sup>2</sup>، فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى.

وتنكير كلمة الحياة في قوله تعالى: { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ }<sup>3</sup>، يعبر تعبيراً دقيقاً عن حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة يعيشونها مهما كانت حقيرة القدر ضئيلة القيمة وعندما أضيفت هذه الكلمة إلى ياء المتكلم في قوله تعالى { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } عبرت أدق تعبير عن شعور الإنسان يومئذ وقد أدرك في جلاء ووضوح أن تلك الحياة الدنيا لم تكن إلا وهمماً باطلاً وسراباً خادعاً أما الحياة الحقبة الباقية فهي تلك التي بعد البعث لأنها دائمة لا انقطاع لها فلا جرم أن سماها حياته وندم على أنه لم يقدم عملاً صالحاً ينفعه في الحياة...

ومن دقة التمييز بين معاني الكلمات ما نجده من الفرق في الاستعمال بين يعلمون ويشعرون ففي الأمور التي ترجع إلى العقل وحده أمر الفصل فيها تجد كلمة يعلمون صاحبة الحق في التعبير عنها؛ أما الأمور التي يكون للحواس مدخل في شأنها فكلمة (يشعرون) أولى بها.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، 14.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 104.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 96.

وتأمل لذلك قوله تعالى { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ }<sup>1</sup> فالسفاهة أمر مرجعه إلى العقل وقوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ } وقوله تعالى: { أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }<sup>2</sup> وقوله تعالى: { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }<sup>3</sup> وقوله تعالى: { أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }<sup>4</sup> وقوله تعالى: { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ }<sup>5</sup> وقوله تعالى { وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ }<sup>6</sup> إلى غير ذلك مما يطول أمر تعداده إذا مضيت في إيراد كل ما استخدمت فيه كلمة يعلمون وتأمل قوله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ }<sup>7</sup> فمن الممكن أن يرى الأحياء وأن يحس بهم، وقوله تعالى: { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَضْعَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }<sup>8</sup> فالعذاب مما يشعر به ويحس به، وقوله تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ }<sup>9</sup>، وقوله تعالى: { قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لِيَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }<sup>10</sup>، وقوله تعالى: { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } وغير ذلك كثير ...

واستخدم القرآن كلمة التراب ولكنه حين أراد هذا التراب الدقيق الذي لا يقوى على عصف الريح استخدم الكلمة الدقيقة وهي الرماد فقال: { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَ بِهِ

<sup>1</sup> سورة البقرة، 13.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 77.

<sup>3</sup> سورة الأنعام، 114.

<sup>4</sup> سورة يونس، 55.

<sup>5</sup> سورة الأنبياء، 24.

<sup>6</sup> سورة النور، 25.

<sup>7</sup> سورة البقرة، 154.

<sup>8</sup> سورة الزمر، 55.

<sup>9</sup> سورة البقرة، 11-12.

<sup>10</sup> سورة النمل، 18.

الرَّيْحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ {<sup>1</sup> كما أنه أثر عليها كلمة الثرى عندما قال: { تَنْزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى } الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى {<sup>2</sup>. لأنه يريد على ما يبدو من سياق الآيات الكريمة الأرض المكونة من التراب وهي من معاني الثرى فضلاً عما في اختيار الكلمة من المحافظة على الأوزان اللفظية في فواصل الآيات.

الوجه الرابع من الإعجاز اللغوي: عد الاختلاف والتناقض:

قال الله تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }<sup>3</sup>،

أ- قال الحافظ ابن كثير<sup>4</sup> (يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض، لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق ولهذا قال تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا " ثم قال: ولو كان من عند غير الله أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً أي اضطراباً وتضاداً كثيراً، وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله ).

ب- في فتح القدير للإمام الشوكاني ما نصه: (تفاوتاً وتناقضاً، ولا يدخل في هذا اختلاف مقادير الآيات والسور؛ لأن المراد اختلاف التناقض والتفاوت، معدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال، وتعرض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحاً مطابقاً للواقع إلا قليل النادر)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة إبراهيم، 18.

<sup>2</sup> سورة طه، 4-6.

<sup>3</sup> سورة النساء، 82.

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم، سورة النساء.

<sup>5</sup> الفتح القدير، سورة النساء.

ج- قال الفخر الرازي<sup>1</sup>: ( أي لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والركاكة ).

د- قال البيضاوي<sup>2</sup> ما نصه:

{ولو كان من عند غير الله} أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار. {لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً} من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلية للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح).

الوجه الخامس من الإعجاز اللغوي: تأثيره في سامعيه (الإعجاز النفسي).

نجد أن من أشهر من قال ذلك الخطابي (388هـ) و الذي عاصر الرماني (بيان إعجاز القرآن) و القاضي عياض (544هـ) الذي ذكر فصلاً في الجزء الأول من كتابه: (( الشفا بتعريف حقوق المصطفى) لإعجاز القرآن أن قارئه لا يمل، بل الإنكباب على تلاوته يزيد حلاوة و ترديده يوجب له محبته، و لا يزال غضا طرياً، و غيره من الكلام و لو بلغ في الحسن و البلاغة مبلغه يمل مع التريد، و يعادي إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، و يؤنس بتلاوته في الأزمان))<sup>3</sup>. ولهذا فان للقرآن سحر يأسر صاحبه عند سماعه، و لا يمل منه، و له حلاوة في الاستمرار إلى سماعه.

و أما التأثير الذي قوبل بالعناد لدفعه و عدم الاستسلام له، فمن أمثلته ما ذكره السيوطي: (( وغيره من محيي عتبة بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه و سلم و كلامه إياه فيما جاء به قومه مما يخالف ما هم عليه، وأن النبي عليه الصلاة و السلام تلا قوله تعالى: ( فَإِنْ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ

<sup>1</sup> تفسير سورة النساء للرازي.

<sup>2</sup> تفسير سورة النساء، للبيضاوي.

<sup>3</sup> القاضي عياض، الشفاء، (ج1/232).

صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودٍ<sup>1</sup> ، وعند ذلك أمسك عتبة بيده على فم رسول الله صلى الله عليه و سلم و ناشده الرحم أن يكف، و أنه قام لا يدري بما يراجع رسول الله عليه الصلاة و السلام: ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام و الله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول. وعاند و ظل على كفره، حتى قتل كمشرك في بدر.

الوجه السادس من الإعجاز اللغوي: عدوله عن التكرار

### ❖ التكرار في القرآن الكريم<sup>2</sup>

#### 1- تعريف التكرار لغة واصطلاحاً.

##### • التكرار في اللغة:

قال ابن منظور<sup>3</sup>: ((الكُرُّ: الرجوع، يقال: كَرَّه وكرَّ بنفسه، يتعدَّى ولا يتعدَّى، والكُرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرًّا .... والكُرُّ: الرجوع على الشيء، ومنه التَّكرار)).<sup>4</sup> قال الجوهري: كَرَّرْتُ الشيء تَكْريراً وتكراراً.

• التكرار في الاصلاح: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها.

#### 2- التكرار من الفصاحة:

اعترض بعض من لا يفقه لغة العرب فراح يطعن بالتكرار الوارد في القرآن، وظن هؤلاء أن هذا ليس من أساليب الفصاحة، وهذا من جهلهم، فالتكرار الوارد في القرآن ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له - كما سيأتي تفصيله - والذي يرد في كلام من لا يحسن اللغة أو لا يحسن التعبير.

قال السيوطي - رحمه الله - ((التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة)).

<sup>1</sup> سورة فصلت 13.

<sup>2</sup> www.islamqa.info نقلاً عن موقع الإسلام سؤال وجواب، الشيخ محمد المنجد.

<sup>3</sup> لسان العرب، (5/135).

<sup>4</sup> الإتيان في علوم القرآن (280/3) طبعة مؤسسة النداء.

### 3- أنواع التكرار: قسم العلماء التكرار الوارد في القرآن الى نوعين:

أحدهما: تكرار اللفظ و المعنى، وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى، وقد جاء على وجهين، موصول و مفصول. اما الموصول: فقد جاء على وجوه متعددة: اما تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: ((هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ))<sup>1</sup>، و أما في أواخرها، مثل قوله تعالى: ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا\* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))<sup>2</sup>.

واما المفصول: فيأتي على صورتين: اما تكرار في السورة نفسها، و اما تكرار في القرآن مثال التكرار في السورة نفسها: تكرار قوله تعالى: ((وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)) في سورة المرسلات 10 مرات، و تكرر قوله تعالى: ((فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) في سورة الرحمن 31 مرة، ومثال التكرار في القرآن كله: تكرر قوله تعالى: ((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) 06 مرات، في سورة يونس 48 مرة، و الانبياء 38 مرة و النمل 71 مرة، و سبأ 29 مرة، ويس 48 مرة، و الملك 25 مرة، و تكرر قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَاوْأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَايُؤْخِرُ الْمَصِيرَ)) مرتين، في التوبة 73 و التحريم 09.

والثاني: تكرار في المعنى دون اللفظ. وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها.

الوجه الثامن من الإعجاز اللغوي: جمعه بين الإجمال والبيان.

#### أ- البيان في اللغة<sup>3</sup>:

( بأن الشيء إذا انفصل فهو بائن وأبنته بالألف فصلته وبانت المرأة بالطلاق فهي بائن بغير هاء، وأبانها زوجها بالألف فهي مبانة قال ابن السكيت في كتاب التوسعة: وتطبيقه بائلة والمعنى مبانة قال الصغاني: فاعلة بمعنى مفعولة، وبان الحي بينا وبينونة ظعنوا وبعثوا وتباينوا إذ كانوا جميعاً فافترقوا). عبارة عن إظهار المعنى بعبارة مبينة عن حقيقته من غير توسع في الكلام،

<sup>1</sup> سورة المؤمنون 36.

<sup>2</sup> سورة الشرح، 5-6.

<sup>3</sup> المصباح المنير، الباء مع الياء.

فإن تأنقت في إسهاب فهي البلاغة، نجد هذا واضحاً وضوح شمس النهار في القرآن الكريم، تسمع منه الكلمة فإذا هي في غاية الحسن والبيان في موضعها، فإذا جئت تعبر عنها بكلمة أخرى وجدتها ركيكة مخلة للنظم والمعني، مثال: كلمة ضيزى: كقوله تعالى: { تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى }<sup>1</sup> وقد وقف الرافعي عند هذه الكلمة وتبين من جمالها مظاهر كثيرة، ومخايل لا يملك من يطلع عليها إلا أن يخفض جناح الإقرار والتأييد، قال الرافعي: (( فإن حسن (ضِيزَى) في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضوع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها، وهي سورة النجم، ومفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى، تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى }، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى. وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغيراتها اللفظية .. وأن تعجب فعاجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه مع ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل، والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غنّتين في (إذا) و (قسمة). أحدهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي. وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً. أما خامس هذه المعاني، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها، إنما هي أربعة أحرف أيضاً))<sup>2</sup>.

#### ب- الفصاحة: لغة:<sup>3</sup>

فعبارة عن الظهور من قولهم: (( "أفصح الصبح"، إذا ظهر. واللفظ الفصيح هو الظاهر، والغالب أنه يستعمل باعتبار اللفظ الكثير الاستعمال في معناه وإن خالف القياس))<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سورة النجم، الآية 22.

<sup>2</sup> صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، دار الكتب العربي بيروت، ط8 ص158 2005م.

راجع الفصاحة: مفهومها وبما تتحقق قيمتها الجمالية، توفيل علي الفيل، الناشر - الكويت: تصدر عن كلية الآداب، جامعة الكويت، 1996.

قال فخر الدين الرازي يعرفها بأنها خلوص الكلام من التعقيد. وقال الابشيهي إن اللفظ الفصيح هو اللفظ الحسن المؤلف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحاً حسناً. ومن هذين التعريفين يمكننا أن نستنتج أن الفصاحة تتركب من شيئين ووهما صحة الشيء وحسنه، سواء أكان كلمة أو كلاماً. ومع هذا لا يمكننا أن نعرف الفصاحة بحد ينطبق على جميع أنواعه الثلاثة، لاختلاف معناها بحسب هذه الثلاثة. ولكن كل تلك المعاني يرجع إلى معناها اللغوي الظهور والبيان والحسن.

الفصاحة عند بعضهم مقصورة على وصف الألفاظ، فلا علاقة بينها وبين المعاني. ولكن رد هذه الفكرة الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وأسهب في الرد على من قال أن الفصاحة إنما هي وصف للألفاظ دون المعاني بل جعل الجرجاني الفصاحة وصفاً خاصاً للمعاني. فقال مثلاً: ((وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة، ونائية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم))<sup>2</sup>. وبعد أن تكلم كثيراً في هذا المجال استنتج الجرجاني فقال: ((فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ))<sup>3</sup>.

لقد تنوعت مصادر الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتبه ( أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وكتاب تفسير درج الدرر ) فهي لغوية ونحوية وبلاغية ونقدية. وظل الجرجاني يكرر أن ليس النظم إلاّ توخي معاني النحو حيث أخرج النحو من نطاق شكلية وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتأويلات حول البناء والإعراب، إذ أخضع النحو لفكرة (النظم) فقال: (( " معلوم أن ليس النظم

<sup>1</sup> كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 44 و 45

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 46.

سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض ". وقال أيضاً: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ))<sup>1</sup>.

ويواصل الجرجاني فكرته فيوضح أن الوصول إلى النظم البليغ لا يثمر إلا بالتعلق النحوي الذي ينسج العلاقات بين أجزاء التركيب منظوراً إليها من ناحية المعنى المتبوع لا اللفظ التابع فيقول: (( لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبين بعضها على بعض، وتجعل هذه سبب من تلك. وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداً حروف، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ولا نظم وأن يجعل لها مكانة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك ))<sup>2</sup>. ويشير الجرجاني هنا إلى مستوى الصحة النحوية، فلا يقصر حركات الإعراب في حد ذاتها، بل العلاقات النحوية بين أجزاء الكلام. فالنظم عند الجرجاني يعني ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض، ويعطي لها مسميات كالتأليف والتركيب، والترتيب، والنظم، والنظام، والنضد، والنسق، والتصوير، والنسج والتحبير. وله نص مشهور يقول فيه: (( فليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ))<sup>3</sup>. ويتحدث أيضاً أحمد مطلوب في هذا المجال فيقول: (( فالنحو كان أكثر ارتباطاً بعلم المعاني والبلاغة منه بالقواعد المنطقية إلى المدى التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي. ونجده قد اعتمد على القواعد والأصول ولكنه لم يئس النزعة الأدبية والذوق في تحليله ونظرته إلى الشعر، وإن كان في دلائل الإعجاز أكثر ارتباطاً بالنزعة العلمية، لأنه كان يجادل في مسألة الإعجاز، وهي قضية تعتمد على الحجة والمنطق والا جانب الذوق والإدراك العميق ))<sup>4</sup>.

و للإمام كتب قيمة في النحو منها (العوامل المائة) و (الجميل).

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81.

<sup>2</sup> المرجع السابق ص 55-56.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 81.

<sup>4</sup> أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته و نقده ص 242.

ب- البحث البلاغي:

يعتبر الإمام عبد القاهر الجرجاني أحد أعلام البلاغة والنحو، وهو المؤسس لعلمي المعاني والبيان. استفاد من مدرسة الجاحظ وتراثه العلمي، وكذا من العلماء قبله، وقد أضاف إليه وكان نتاج ذلك تأليفه عدة كتب أهمها: ( دلائل الإعجاز ) والذي احتوى على علم المعاني الذي تضمن: بيان فضل العلم، علم الكلام، الدفاع عن الشعر. وكذلك تحدث عن الفصاحة والبلاغة، والنظم، والتشبيه والتمثيل، والكناية والاستعارة وغيرهم. وتحدث أيضاً عن التقديم والتأخير، الاستفهام، والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل.

ووضح أن عبد القاهر الجرجاني كان يريد من خلال تأليف كتاب ( دلائل الإعجاز ) بضرورة وضع نظرية النظم في أطر منهجية منظمة، فالتفاوت في الكلام إنما يقع من خلال النظم، حتى يصل إلى درجة الإعجاز. فهو يريد أن يلم شتات هذا العلم، ويعطي للمصطلحات البلاغية والعبارات النقدية دلالة علمية. وهناك كتاب آخر (أسرار البلاغة ) تحدث فيه عن علم البيان، وتضمن مواضيع كثيرة منها: اللفظ والمعنى، والتجنيس، والسجع والحشو، والتشبيه والتمثيل والاستعارة، وانقسام المعاني إلى قسمين عقلي وتخيلي، الفرق بين المجاز والاستعارة. ثم ألف ما سمي بالرسالة الشافية وموضوعها إعجاز القرآن، وتحدث عن أحوال العرب حتى نزل القرآن عليهم، وعجزهم حتى تحدوا القرآن. وذكر أي الشعراء أشعر، وتفضيلهم على أي وجه، وكذلك تحدث عن الصرفة، وختم الرسالة بالحديث عن أن تمييز الكلام بعضه من بعض لا تستطيع أن تفهمه من شئت متى شئت.

واستطاع عبد القاهر أن يحلل معنى النظم الذي كان سائداً قبله وأن يضعه في نظرية النظم والتي تدور حول ترتيب الكلام، وحللها وضرب لنا أمثلة تتعلق بالجملة الخبرية، وأخرى بالجملة الشرطية، وأخرى بالحال، وتحدث عن الحروف التي تشترك في معنى. وتوضيحاً لهذه النظرة جاءنا الجرجاني بعدة أمثلة منها: فرق بين التشبيه والتمثيل فقال : ((فاعلم التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن يرى كعنقود ملاحه حين نوراً

إنه تشبيه حسن، ولا تقول هو تمثيل<sup>1</sup>.

ناقش عبد القاهر الجرجاني قضية البيان والوضوح في الكلام، وما يثار حولها من مناقشة، فما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك. فالتكلم عليه أن يكون حذقاً في ترتيب ألفاظه، وأن يصونها من كل شائبة، كما تحدث عن مسألة الإعجاز، وأقر بعجز العرب لكي يتحدوا القرآن الكريم، وعمدة الإعجاز عنده يقدم على أدوات البيان.

وخلاصة ما سبق فإن الجرجاني عندما وضع كتابه: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، ((ففي الأول ذهب يفسر إعجاز القرآن البلاغي مهتدياً بفكرة القاضي عبد الجبار، والتي تذهب إلى أن الإعجاز مرده إلى فصاحة الكلام، ولكن لا بمعنى حسن اللفظ والمعنى وما يتصل بالصورة البيانية، وإنما بالأداء والنحو ثم رأى بأن كلمة الفصاحة لا تدل دلالة قطعية على هذا المعنى فأختار كلمة النظم، والتي بنى عليها الباقلاني كلامه في كتابه (إعجاز القرآن))<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص: 163-164

<sup>2</sup> شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف-القاهرة، ص (372-373).

## الفصل الثاني : تجليات التفسير اللغوي والبياني فغي كتاب درج الدرر (دراسة تطبيقية)

المبحث الأول: نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز اللغوي

- موضوعات نحوية ودلالية

المبحث الثاني : نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز البلاغي (موضوعات بلاغية):

أ- علم البيان.

ب- علم المعاني

## المبحث الأول: نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز اللغوي:

### موضوعات نحوية ودلالية:

لقد تعددت مصادر عبد القاهر الجرجاني في كتبه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وكتاب تفسير درج الدرر) فهي لغوية ونحوية وبلاغية ونقدية، حيث قال: (( واعلم أننا لم نجد لهم اعتمادوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أغنى، وإن كان جميعاً يهملهم ويعينانهم ))<sup>1</sup>.

فظل عبد القاهر الجرجاني يكرر أن ليس النظم إلاّ توحي معاني النحو حيث أخرج النحو من نطاق شكلية وجفافه، و سما به فوق جميع الخلافات، حول البناء والإعراب، إذ نجده قد أخضع النحو لفكرة (النظم) فقال: (( معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض ". وقال أيضاً: ((واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو))<sup>2</sup>، ويوضح الجرجاني بأن الوصول إلى النظم البليغ لا يتم إلاّ بالتعلق النحوي الذي ينسج العلاقات بين أجزاء التركيب، ينظر إليها من زاوية المعنى المتبوع لا اللفظ التابع، فيقول: (( لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداً حروف ...))<sup>3</sup>، يشير هنا الجرجاني إلى مستوى الصحة النحوية بقوله: لا يعني به مستوى حركات الإعراب في حدّ ذاتها، بل العلاقات النحوية بين أجزاء الكلام، يعني النظم عند عبد القاهر ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض، ضمّاً معيناً يسميه عبد القاهر بمسمياته مثل: التأليف، الانسجام، التأليف والتركيب، والترتيب، والنظم، والتصوير . وما نص عبد القاهر الجرجاني: (( فليس النظم إلاّ، أن

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 107.

<sup>2</sup> المصدر السابق (ص 81).

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 98.

تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتظل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت له، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها<sup>1</sup>.

إلاّ دليل على ذلك، فالنحو عند الجرجاني كان أكثر ارتباطاً بعلم المعاني والبلاغة منه بالقواعد المنطقية الجامدة. فهو اعتمد على القواعد والأصول ولكنه لم ينس النزعة الأدبية والذوق في تحليله ونظراته إلى الشعر، وإن كان في دلائل الإعجاز أكثر ارتباطاً بالنزعة العلمية؛ لأنه كان يجادل في مسألة الإعجاز، وهي تعتمد على الحجة والمنطق إلى جانب الذوق.

وللجرجاني كتب قيمة في مجال النحو، منها كتاب (العوامل المئة) حيث يظهر بجلاء أصول منهجه في التأليف، وكذا العقلية الكلامية في التحليل، وله نظرة شمولية باعتباره بصيرة بعلوم العربية.

له مؤلف آخر هو (الجمال) شرح مختصر لكتابة العوامل المائة غير أنه يخالفه في المنهج، فنجدده قسم العوامل المائة إلى:

أ- لفظية.

ب- معنوية.

واللفظية إلى: أ- سماعية.

ب- قياسية.

أمّا هنا فهو يجعل العوامل ثلاثة أقسام:

- عوامل من الأفعال.

- عوامل من الحروف.

- عوامل من الأسماء.

ويضع للكتاب مقدمة وخاتمة وهي ليست من العوامل.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 83.

وسوف نتعرض الآن لموقفه من المدرستين المشهورتين في النحو، ألا وهي المدرسة الكوفية والبصرية.

### المصطلح النحوي:

نجد عبد القاهر الجرجاني قد جمع بين مذهبي البصريين والكوفيين وخلط بينهما، فهو من أنصار المدرسة الانتقائية فيستخدم تارة مصطلحات البصريين وتارة مصطلحات الكوفيين.

### مصطلح البصريين:

يذكر سيبويه البديل في كتابه: " هذا بابٌ من الفعل ويستعمل في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم "، ويستخدم الجرجاني مصطلح البديل، ((ويقل استخدام مصطلح الترجمة، فالكوفيون يسمونه الترجمة والتكرير))<sup>1</sup>، ففي تفسيره الآية الكريمة: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ }<sup>2</sup>، حيث يقول: { قِتَالٍ فِيهِ } مكسور على طريق بدل الاشتمال، ويدل الاشتمال هو إبدال حال الشيء أو ما يجري مجراه منه))<sup>3</sup>.

### الظرف:

استخدم الجرجاني ((المصطلح البصريين الذين يسمونه (الظرف) مرات عديدة، وسماه الكوفيون الظروف محال لحلول الأشياء فيها))<sup>4</sup>، فيقول في تفسير الآية الكريمة: { كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ }<sup>5</sup> (كلما) ظرف زمان ماضي في محل نصب.

### التمييز:

يسمي البصريون المصطلح بالتمييز فهو اسم نكرة، بمعنى من، لإبهام اسم أو نسبة، ويسمى أحياناً: التفسير أو التبيين. أو المفسر، أو المميز وفي قوله سبحانه: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ

<sup>1</sup> شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو ص432.

<sup>2</sup> سورة البقرة، 217.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

<sup>4</sup> أبو البركات الأنباري، أسرار العربية ص141.

<sup>5</sup> البقرة، 20.

الحَجَرُ فَإِنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا<sup>1</sup>. ((يستخدم الجرجاني مصطلح البصريين بقوله: {عَيْنًا} نصب على التمييز)).<sup>2</sup>، وكان التمييز يسمى مفسراً، أو التفسير عند الكوفيين.

### المفعول لأجله:

يقول ابن هشام: "ومن المفاعيل المفعول له ويسمى المفعول لأجله ومن أجله وهو كل مصدر معلل لحدث مشارك في الزمان والفاعل كقوله تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ}<sup>3</sup>، فالحذر مصدر منصوب ذكر عله لجعل الأصابع في الآذان.

وقد يسمى الفراء المفعول لأجله تفسيراً: ((إنما هو قولك: أعطيتك خوفاً وفاقاً، فأنت لا تعطيه الخوف، وإنما تعطيه من أجل الخوف فنصبه على التفسير)).<sup>4</sup>

ويستعمل الجرجاني مصطلح البصريين فيوضح الإعراب حتى يفسر الآية الكريمة: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ}<sup>5</sup>، يقول: {حَذَرَ الْمَوْتِ} أي: لحذر الموت، كقولك: زرتك طمعاً في برك.

### مذهبه النحوي:

لقد تجاوز الجرجاني في منهجه النحوي مسألة الطلاقة اللغوية أو الحكم بالصحة والفساد على التراكيب اللغوية كما فعل النحاة إلى البحث عن أسرار جماليات وتذوق تلك التراكيب، فهو يميل إلى المدرسة البصرية لذكره النحاة البصريين في مؤلفاته: كسيبويه والأخفش والخليل وغيرهم، فيذكر عبارة: "هذا ما ذهب إليه أصحابنا".

<sup>1</sup> سورة البقرة، 60.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ص 164.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 19.

<sup>4</sup> الفراء، معاني القرآن، 17.

<sup>5</sup> سورة البقرة، 19.

واشتهر الجرجاني بتحليل للمسائل النحوية من خلال التدقيق والتأويل وهو باعتباره نحوي ويدافع عنه. ولم يكن متعصباً لأراء أحد المدرستين، فهو يقرر أراء إحداهما في تفسيره للآيات الكريمة دون أن يرجح إحداهما على الأخرى، فكان منهجه الخاص في الانتقاء والاختيار ورؤيته لدلالات الإعراب وعلاقتها بالنظم والمعاني بحيث تقتضي علم النحو وأصوله.

### إقرار رأي الكوفيين:

نعم وبئس: ذهب الكوفيون إلى أن: (( " نعم، بئس " اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وإليه ذهب الكسائي من الكوفيين، وحجتهم في ذلك بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الحذف عليهما، فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول " ما زيد بنعم الرجل " قال حسان بن ثابت: ألسْتُ بنعم الجار يؤلف بيته أَخَاقِلَةً أو معدم المال مصرماً))<sup>1</sup> (( وذهب الفراء وأكثر الكوفيين إلى اسمية نعم وبئس، واحتجوا بدخول حرف الجرّ عليهما))<sup>2</sup>.

أما الجرجاني فقد أورد آراء المدرستين وأدلتهما مرجحاً رأي الكوفيين: ففي قوله سبحانه: { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ }<sup>3</sup>، يقول (بئس) و(نعم) فعلان ماضيان مثل: لعب وشهد فمنا الصرف، وكل واحد منهما يقتضي اسمين غالباً. هذا عند البصريين، أما عند الكوفيين هما حرفان يشبهان الفعل، وفيها معنى الصفة، والدليل على كونهما حرفين لزومهما صورة واحدة في التذكير والتأنيث والجمع والخطاب والحكاية عن النفس والغائب.

والدليل على أنهما يشبهان الأفعال جواز قولك: بئس وبئست، ونعم ونعت، والدليل على أن فيها معنى الصفة قولك: بئس الرجل زيد، ونعم الرجل عمرو، أي مذموم زيد ومحمود وعمرو.

لقد فسر الجرجاني المعنى الدلالي قسمين فقال: " الكلام على ضربين:

<sup>1</sup> أبو البركات الأنصاري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والكوفيين (ج 1/80).

<sup>2</sup> ابن الصائغ، الممحة في شرح الملحة (ج 1/).

<sup>3</sup> سورة البقرة 90.

1- ((ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، وبالنطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق.

2- وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.

((وإذ عرفت هذه الجملة فهأنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر<sup>1</sup>)).

وهنا يفرق الإمام الجرجاني بين اللغة الفنية والكلام المعتاد، لا من حيث الصحة اللغوية أو النحوية، بل من حيث الفنية التي تنطلق من قوانين اللغة، فليس النظم " إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله"، أي أن الجرجاني يعني أن اللغة الفنية " النظم " ليس محصورة في قوانين اللغة، بل يشمل علم النحو عند الجرجاني اللغة كما هي عند النحاة، ويشمل كذلك الخصائص الفنية. ومن بين الظواهر اللغوية نذكر ما يلي:

1- الاشتقاق: هو اتصاف اللغة بالمرونة والسعة، وهي لغة اشتقاقية، وفي الحديث الذي أخرجه الترميذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

قال الله تعالى: " أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ شَقَقْتُ الرَّحِمَ وَإِنِّي شَقَقْتُ لَهَا اسماً مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْ وَصَلَنِي وَقَطَعَ مِنْ قَطَعَنِي فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَإِنِّي شَقَقْتُ لِلرَّحِمِ مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ بَتَكَهَا بَتَكْتُهُ " <sup>2</sup>.

ولغة: (( اشتق الكلام: وسعه ويبينه وولّد بعضه من بعض، أخرجه أحسن مخرج، وشقق الخطب وغيره: إذ شقه (شققاً) فتشقق. ومن المجاز: شقق الكلام تشقيقاً: أخرجه أحيان مخرج.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، (ج1/ص842).

<sup>2</sup> المنذري، الترغيب والترهيب، رواه البزار بإسناد حسن، (ج/ 230).

واصطلاحاً: الاشتقاق أخذ صبغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفاً حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر<sup>1</sup>، ((فهو نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيباً، وتغايرهما))<sup>2</sup>. فالاشتقاق يقصد به استخراج لفظٍ من آخر متفق معه في المعنى وفي الحروف الأصلية، أو استنباط صيغة من أخرى، والاشتقاق في أغلب صورهِ يتضمن إطالة لبنية الكلمة بالنسبة إلى مصدرها، ولعلّ هذا الطريق هو أقرب الطرق وأكثرها نتاجاً في تنمية اللغة، فهناك آلاف الكلمات المشتقة يجري استعمالها في يسر وسلاسة.

### الاشتقاق في تفسير درج الدرر:

في هذا الكتاب مشتقات كثيرة ذكرها الجرجاني، منها في سورة الفاتحة حين ذكر البسملة نقل عن بعضهم بأن اسم الجلالة (الله) غير مشتق، فالاشتقاق لفظ الجلالة (الله) على أربعة أقوال يمكن حصرها بما يلي:

**القول الأول:** أنه مشتق من لاه يليه أي ارتفع، ومنه قيل للشمس: إلهة، لارتفاعها.

**القول الثاني:** أنه مشتق من لاه يُلُوهُ لياهاً، أي احتجب، فالألف على هذين القولين أصلية، فحينئذٍ أصل الكلمة لاه، ثم دخل عليه حرف التعريف فصار اللاه، ثم أدغمت لام التعريف في اللام بعدها لاجتماع شروط الإدغام، وفُحِمت لأمه.

**القول الثالث:** انه مشتق من أله، وهذه اللفظة مشتركة بين معاني، وهي: (العبادة، والسكون، والفرع) أي يعبدونه ويسكنون إليه ويفزعون إليه.

**القول الرابع:** إنه مشتق من وله - لكون كل مخلوف والهاً نحوه - وأصله (ولاه) ثم أُبدلت الواو همزة كما أُبدلت في (إشاح) و (إعاء) فصار اللفظ به (إلاه) ثم حصل له من حذف الهمزة والإدغام، ويعزى هذا القول للخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه.

وعلى هذين القولين الآخرين بكون وزن إلاه:

<sup>1</sup> السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (ج1/ 275)

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، ص62.

فِعَال: بمعنى مفعول أي: معبود.

كتاب بمعنى مكتوب.

وحسب ما ذكر سابقاً يكون لفظ الجلالة مشتقاً وليس جامداً.

وتحدث في اشتقاق لفظي (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) فذكر أنهما " اسمان مشتقان من الرحمة ". وفي قوله سبحانه:

{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا }<sup>1</sup> بين: " اتصالها بما قبلها من حيث ذكر الكفار وهم ملحدون، (الأسماء): التسميات الذي يتكلم الله بها. و(الحسن) تأنيث الأحسن {الذين} يلحدون في أسمائه: الذين استقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله عز وجل، كالألآت من الله، والعزى من العزيز، والذين أنكروا إطلاق تسميتين على مسمى واحد فقالوا: { وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا }"<sup>2</sup>. ويدخل في جملة هؤلاء الذين قالوا: أسماء الله مخلوقة، والذين أطلقوا على الله اسم الجسم، والذين فرقوا بين الأسماء المشتقة من صفات الذات وبين الأسماء المشتقة من صفات الفعل<sup>3</sup>، وفي قوله تعالى: { حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }<sup>4</sup> ذكر معنى (الملة)، ثم بين اشتقاقها بقوله: " والملة: معظم الدين والشرعية، عن ابن الأعرابي، قال أبو العباس: يعني بالمعظم: الجملة، وكأنها مستعارة من الملة التي هي الدية والأرض؛ لأنها مسنونة مشروعة مثلها، قيل: اشتقاقها من الملة وهي الرمل المحصن، وقيل: وما قولك: تمليت الثوب، إذا لبستها ملاوة من الدهر "<sup>5</sup>.

وفي قوله سبحانه: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }<sup>6</sup> يوم الجرجاني: ألهم ووفق لا أنه أخبر ولقن؛ لأنه لو لقنه لما كان له مزية على الملائكة، و (آدم) مشتق من أديم الأرض، أو أدمة اللون.

<sup>1</sup>الأعراف، 180.

<sup>2</sup>الفرقان، 60

<sup>3</sup>عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، 100

<sup>4</sup>سورة البقرة، 120.

<sup>5</sup>عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر.

<sup>6</sup>سورة البقرة، 31.

## 2- الترادف:

لغة: معناه ركوب أحد خلف الآخر. فيقال ردف الرجل وأردفه أي ركب خلفه على الدابة، فالردف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف.

وقد فسر قوله تعالى: { أَنِّي مُّمِدِّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ }<sup>1</sup> بمعنى يأتون فرقة بعد فرقة أي متتابعين.

واصطلاحاً: وهو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، وقد عرّف علماء العربية الترادف هو: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد<sup>2</sup>، وهو ما اختلف لفظه واتفق معناه.

### الترادف في تفسير درج الدر:

لقد وردت أمثلة كثيرة عن الترادف، منها قوله سبحانه:

{ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }<sup>3</sup>، وعثي يعثى وعاث يعيث: أفسد، وجمع اللفظين في معنى واحد نهاية في البلاغة، كقوله: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ }<sup>4</sup>.

وقوله: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ }<sup>5</sup>.

فعاث وأفسد بمعنى واحد، وكذلك الرجس والوثن، والرجه والإسفار.

وفي تفسيره الآية الكريمة: { لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }<sup>6</sup> ذكر مثالين على الترادف، فقال: (النَّيْل) هو الإدراك والإصابة، و(العهد): الوصية والأمانة، لقوله: { وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }<sup>7</sup> فالنيل والإدراك والإصابة بمعنى واحد. والعهد والوصية والأمانة بمعنى واحد أيضاً.

<sup>1</sup> سورة الأنفال، 9.

<sup>2</sup> السيوطي، المظهر، 402.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 60.

<sup>4</sup> سورة الحج، 30.

<sup>5</sup> سورة عبس، 38.

<sup>6</sup> سورة البقرة، 124.

<sup>7</sup> سورة البقرة، 127.

أما في قوله سبحانه: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ }<sup>1</sup>، فيقول: (أوفوا بعهدي) أتموا عهدي الذي أفدت عليكم في هذا النبي الأمي، وقيل فرائضي التي فرضت التي فرضت عليكم، والإيفاء والوفاء بمعنى، والعهد: الوصية

---

<sup>1</sup> سورة البقرة، 40.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز البلاغي (موضوعات بلاغية):

#### أ- علم البيان:

لقد استقر تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة: علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع. وعلم البلاغة من العلوم التي بسطها لنا القدماء بسطاً وافياً وتوسعوا في بيانها، لأنها خرجت من الاهتمام بكتاب الله عز وجل، الدقيق العبارة، الرصيف الأسلوب، فمن خلال البلاغة نعرف إعجاز القرآن الكريم الذي تحدي سلاطين الفصاحة وأعجزهم بأن يأتوا بسورة من مثله.

وكان عبد القاهر يؤمن بأن مصطلح البيان مرادفاً لمصطلح البلاغة، وبلغت أوجها في عهده، فهو نسخ العربية بلا منازع، وهو الذي نظريته ويسره فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلاّ نتفاً مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع، فشمر عن ساعد الجد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، خاصة في كتابيه (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) وضرب لها أمثلة وشواهد، ويرى بأن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلاّ بكثرة الأمثلة والنماذج.

ونجد أن عبد القاهر الجرجاني قد تأثر في بعض نواحي تفكيره البلاغي بالثقافة الإغريقية ولا سيما بحوث أرسطو، وكتاب (أسرار البلاغة) هي أول محاولة جادة يميز فيها بين أقسام البلاغة وفروعها في موضوعات علم البيان، من تشبيه وتمثيل واستعارة والفروق التي تميز بينها، وعن الحقيقة والجواز بنوعيه: اللغوي والعقلي، ثم الحديث عن السرقات الشعرية.

#### 1- التشبيه والتمثيل:

((لغة: لقد اتفق علماء اللغة على أن التشبيه والتمثيل وجهان لعملة واحدة.

أمّا اصطلاحاً: اتفق علماء البيان على أن التشبيه أعم من التمثيل فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل، قد عرّف قدامة بن جعفر التشبيه بقوله: " التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمها ويوصفان بها، واقتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتهها.

كما عرفه السكاكي بقوله: " لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر ))<sup>1</sup>، والتشبيه بأنواعه المتعددة من أكثر الأنواع البيانية ظهوراً في النصوص القرآنية والأدبية، فتناوله كثير من الدارسين.

وقد اتفق علماء البلاغة على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وذلك أنه يزيد المعنى وضوحاً، وهو أكثر أنواع الأساليب البيانية اطراداً في كلام العرب العامة.

ولعبد القاهر الجرجاني وقفة مع التشبيه، بيّن منها مكانته ومنزلته في البلاغة، يقول: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أغلب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من ناره وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستشار لها من الأفئدة صباية وكلفاً، وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً ".

فالقرآن الكريم في أسلوبه المميز، ولمعرفة الله لخلقه اختار لهم التعبير الأنسب والتصوير الأقرب الذي به تتأثر عقولهم وتثار نفوسهم لتصل الرسالة السماوية إلى كل إنسان.

وسيتضح أثر التشبيه وبلاغته عن طريق التحاليل البلاغية في الآيات الكريمة والمشملة على التشبيه لنرى عبرها أسرار البلاغية والجمالية، فيقول الله سبحانه وتعالى، مبيناً حال من يعرض عن القرآن، وسيتكبر عنه: { وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِيْ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبٍ أَلِيمٍ

{<sup>2</sup> وفي هذه الآية بيان لحالة هذا الرجل، الذي تعرض عليه آيات الله، وتأتية وهو في مكانه دون أن يحرك ساكناً، فيتكبر عليها، وذلك هو الضلال المبين، وقد أسلوبها مصوراً هذا المعنى أتم التصوير، فبدأت

<sup>1</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 332.

<sup>2</sup> سورة لقمان، الآية 7.

الآية بأسلوب الشرط، ((ومجيء لفظة (تتلى) بصيغة المضارع دلالة على تجدد حدوث هذا الاستكبار، وتكرر وقوعه، وجاء التشبيه بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ))<sup>1</sup>.

لتتضح حالته أتم إيضاح مع القرآن الكريم، كأن هذا الرجل لم يسمع بهذه الآيات، فالتشبيه الثاني (كأن) مشددة ثقيلة. يقول عبد القاهر الجرجاني في تفسيره قول الحق سبحانه: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا }<sup>2</sup>. { اللَّيْلَ لِبَاسًا } التشبيه من حيث وقوع . { سُبَاتًا } استراحة في استراحة في استرخاء، { نُشُورًا } أي: وقت نشور وانتشار، لباساً، أي تسكنون فيه، وهو مشتمل عليكم، أما السبات فيراد به: الانقطاع عن الناس والحركة والعمل، والسبت: الراحة وابتداء النوم، والنشر من: نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة، وجعل النهار نشوراً، أي جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق، وأنشره الله أي أحياه، وبهذا فقد جَسَم (الليل)، إذ شبهه باللباس الساتر، لأنَّ الناس يستترون به مثلما يستترون بالثياب التي يلبسونها، ومن ثم يخلدون إلى النوم الذي جعله سباتاً، وهو شرب من الموت، وإذ يسبت أو ينقطع فيه الناس عن الحركة والعمل، ثم يأتي النهار فتدبُّ الحياة، إذ ينتشر فيه الناس. وهذا التفاعل بين الليل والنوم من جهة والنهار والحركة من جهة أخرى يدل على الموت والحياة، ففي شبه الليل باللباس، وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم.

كذلك تعرض الجرجاني إلى ما يسمى بالتشبيه البليغ، أي الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه فهو التشبيه البليغ وهو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة، لما فيه أدى من أنَّ المشبه هو عين المشبه به، وفيه الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معاً، ويتضح التشبيه البليغ في قول الحق سبحانه: { وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ }<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 37.

<sup>2</sup> سورة الفرقان، 47.

<sup>3</sup> سورة الدخان، 24.

يقول الجرجاني : (( {رَهْوًا} سكوناً، أو متتابعاً، تقديره: اترك البحر ساكناً على حالته وعلى حالة غير مضطرب ولا ملتطم، أو اترك البحر متتابعة أمواجه في الهواء كلّ فرق كالطود العظيم))<sup>1</sup>. وهو تشبيه بليغ حذف منه الأداة ووجه الشبه وهو أعلى مراتب التشبيه.

المجاز:

لغة: هو اسم المكان الذي يجوز فيه، يقال جزت الطريق، أي قطعه.

اصطلاحاً: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، ويقسم المجاز إلى:

مجاز عقلي، مجاز لغوي نوعان: - الاستعارة.

- المجاز المرسل.

الحقيقة والمجاز في تفسير درج الدرر:

يقول الجرجاني : (( وأما المجاز فكلّ كلمة أو يديها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غيره، أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن، إلاّ أنّ هذا الاستناد يَتَّقَوِي ويضعف، بيانه ما مضى من إنك إذا قلت: رأيت أسداً، تريد رجلاً شبيهاً بالأسد ))<sup>2</sup>.

لا شك أن الجرجاني قد وضع قواعد للبلاغة، إضافة لوضعه نظرية النظم في النقد العربي من خلال كتابيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز). فيقول الجرجاني في ذلك: " وذاك أن العادة قد جرت بأن يقال في الفرق بين "الحقيقة" و"المجاز" ((إن الحقيقة أن يقر اللفظ على أصله في اللغة، والمجاز أن يزال عن موضعه، ويستعمل في غير ما وضع له، فيقال، أسدٌ ويراد شجاع، وبحر ويراد جواد،

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر، ج2/86.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص350-352.

وذاك أنا إذا حققنا، لم نجد لفظ "أسد" قد استعمل على القطع والبت في غير ما وضع له، ذاك لأنه لم يجعل في مضي "شجاع" على الإطلاق، ولكن جعل الرجل بشجاعته أسداً، فالتجوز في آن ادعيت للرجل أنه في معنى الأسد، وأنه كأنه هو في قوة قلبه وشدة بطشه، وفي أن الخوف لا ، والذعر لا يعرض له، وهذا إن أنت حصلت، ونجوز مثلاً في معنى اللفظ لا اللفظ، وإنما يكون اللفظ مزالاً بالحقيقة عن موضعه ومنقولاً عما وضع له <sup>1</sup>، ففي المجاز انتقال بذهن السامع إلى آفاق جديدة وصور رائعة ومشاهد متناسقة لا تأتي بالاستعمال الحقيقي، فالمجاز في قيمته الفنية والبلاغية يعني عملية متجددة عن توالد المعاني، فالدلالة المجازية تحمل معها عنصراً الابتكار والدهشة والمفاجأة.

وأما المجاز في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: { وَجَاءَ رَبُّكَ } <sup>2</sup>. على مذهب المانعين للمجاز مجيء الله حقيقة، ليس فيه مجاز، لا عقلي، ولا لغوي، ورأي الذين يقولون بالمجاز: فيه مجاز عقلي، لأن المجيء عقلاً عندهم لا يسند إلى الرب، فهو ممتنع عقلاً فمجاز القرآن ذروة البيان العربي، وقد كان إعجازه البياني مورداً متآملاً من موارد إعجازه الكلي، وتفوقه البلاغي حقيقة ساطعة وفق العرب عاجزين أمامها، فلا غرابة أن يكون القرآن مصدراً للثروة البلاغية، والمجاز عقدها الفريد.

وقد رد عبد القاهر الجرجاني القول بحمل اللفظ على ظاهره في كل من قوله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } <sup>3</sup> وقال أيضاً سبحانه: " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " <sup>4</sup>، وقال سبحانه: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } <sup>5</sup> فإذا قيل لهم: الإتيان والمجيء انتقال من مكان إلى مكان، صفة من صفات الأجسام، وأن الاستواء إن حمل على ظاهره لم يصلح إلا في جسم يشغل حيزاً أو يأخذ مكاناً، والله عز وجل خالق الأماكن والأزمنة، ومنشئ كل ما تصلح عليه الحركة والنقلة، والانفصال والاتصال، وعبد القاهر الجرجاني يرى: ((أن الحقيقة ما لا إشكال في وجهه، ولم يعرف عن ظاهره، والمجاز ما توسّع الناس فيه لفظاً، واصطلحوا عليه، وتجاوزوه إمّا ضرورة كتسمية الرجل كلباً أو أسداً، وإمّا اختياراً للتخفيف والعادة كقولهم: طلع الفجر، وأظلم الليل، ونبت

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 366-367.

<sup>2</sup> سورة الفجر، 22.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 210.

<sup>4</sup> سورة الفجر، 22.

<sup>5</sup> سورة طه، 5.

الشجر، والاطناب كقولنا في المصائب: انكسر الصلب، وفي العشق: تقطع القلب، وفي السرور: قُرت العين، والتفاؤل كتسمية الغلام يمناً وسعداً، وهو من البلاغة في الرسائل والخطب والقصائد إذا عرب من التأكيد وعرف منه مراد المرید))<sup>1</sup>.

وهكذا يتضح بأن المجاز عند الجرجاني نوعان: مجاز عن طريق اللغة، وهو المجاز اللغوي، ومضماره الاستعارة والكلمة المفردة، ومجاز عن طريق المعنى والمعقول، وهو المجاز الحكمي، وتوصف به الجمل في التأليف والإسناد، وهو يتناول في درج الدرر قضية الحقيقة والمجاز: ففي قوله سبحانه: { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }<sup>2</sup>، فيقول: (( وإنما قال: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } لينوه بذكره تعويضاً عن تقديمه أو عامة للحجة بما أتى من الكلام المعجز، وإن لم يكن مكتوباً من السماء، وأكد بالمصدر ليعلم أن الله كلمه حقيقة وخاطبه خطاباً، وليحسم توهم المجاز، مثل قولك: مال برأسه، وقال بيده، و(التكليم) صفة لله تعالى حقيقة من غير كيفية، تكليماً مصدر كلم، وفي ذكر هذا المصدر تأكيد للفعل ودليل على أنه كلمة حقيقة لا مجازاً لأن الفعل المجازي لا يؤكد بالمصدر))<sup>3</sup>.

#### الاستعارة:

يقول عبد القاهر الجرجاني : (( اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية ))<sup>4</sup>.

وعرّفها الجاحظ بأنها (( تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر (ج1/ 147-148)

<sup>2</sup> سورة النساء، 164.

<sup>3</sup> الزحيلي، التفسير المنير، ج6/ 30.

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص30.

<sup>5</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج1/ 142.

ويقول السكاكي في مفتاح العلوم: (( هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به وإلا على ذلك بإثباتك للمشبه ن=ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع ما يخص المشبه وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر ... وسمى هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه وبين معنى الاستعارة ))<sup>1</sup>، وكل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه.

### الاستعارة في تغيير درج الدرر:

والاستعارة قد تكون مكنية أو تصريحية.

والمكنية هي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، يقول تعالى: { اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ }<sup>2</sup>. يذكر الجرجاني في تفسيره الآية الكريمة: ( وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ) يحتمل معنيين: التجمع والنقيض، لاستدراك القوة، وإزالة الرهبة من الحية، والثاني: التضاؤل من رهب اللع تعالى، ويحتمل قوله: { وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ } متصلاً بقوله: { اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ }، وقوله: { مِنَ الرَّهْبِ } عائد إلى قوله: { وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ }، فالمراد بالجنح: اليد، لأن يرى الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، ويراد بضم جناحيه إليه: تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطاهر، لأنه إذا فاق نشر جناحيه وأرخاهما.

وأما الاستعارة التصريحية فهي: ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، لا يأتي الجرجاني في تفسيره على ذكر الاستعارة صراحة بتحديد أركانها، لكنه يفسر التخيل والبيان في الآية الكريمة: { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِي آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 369.

<sup>2</sup> سورة القصص، 32.

<sup>3</sup> سورة البقرة، 9-10.

{ يُخَادِعُونَ اللَّهَ } يظنون أنهم يخادعون والمخادعة فعل الخدع من اثنين على وجه المقابلة وهو إظهار المحبوب مع إبطان المكروه، { وَمَا يَشْعُرُونَ } بأن خداعهم راجع إلى أنفسهم، والشعور هو العلم الدقيق الذي يتولد عن الفطنة، وهو شعار القلب، ومنه سمي الشاعر شاعراً { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } والمرض في القلب ظلمة فيه، وتور عن الحق، وقيل: علة فيه تمنعه عن الصواب.

## ب- علم المعاني:

بعد التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة العربية، فهو واحد من الأركان التي يقوم عليها علم المعاني، فله وثيقة بقصد المتكلم، وحال المخاطب، والمقام الذي يلتقي فيه الكلام، وعلم المعاني يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، فمعنى الجملة مثلاً لا يعني مجموع معاني المفردات المتألفة منها، بل هو تركيب هذه المفردات في نمط معنى، فإذا تم تقديم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام ومقتضى الحال، فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أو متأخرة.

## أهمية التقديم والتأخير:

فله أثر على روعة الأسلوب وبلاغته، فهو يبحث في بناء الجمل، وصياغة العبارات، وسيقول السيوطي (ت911هـ) بأن السلف الصالح قد أشكل عليهم معنى بعض الآيات، فلما عرفوا أنها من التقديم والتأخير اتضح مفهومها، ولذلك نجد أن النحاة استقر رأيهم في الجملة العربية على أن يأتي المبتدأ والخبر، الفعل و الفاعل، فمن دعا بغير ذلك فهو مخالف للأصل، ففي قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ }<sup>1</sup>، يقول الجرجاني: "((وفي تأخير الإيمان عن الخشية دليل على وجود الإيمان بالعقل قبل وجوده بالسمع،

<sup>1</sup> سورة المؤمنون، 57-59.

ولولا ذلك لما تقدم الإشفاق من خشية الله على الإيمان بالآيات، فإنما تأخر في نفي الشرك عن إثبات الإشفاق والإيمان لوجود الشرك في أهل الكتاب بعد ادعائهم الخشية والإيمان<sup>1</sup>.

فالكلمة في سياق النص القرآني إذا قدمت أو تأخرت فإنما يكون ذلك لغرض مقصود ومبتغى من وراء هذا التقديم والتأخير، فمنها ما يكون بالتفاضل، أو بالاستحقاق أو الطبع، وللتقديم والتأخير أنواع وردت في القرآن الكريم حصرها الزركشي في ثلاثة أنواع هي:

### 1- ما قدم والمعنى عليه (تقديم لا على نية التأخير).

ففي قوله تعالى: {يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنُوْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِیْهِنَّ} <sup>2</sup> فإن الأزواج أسبق بالزمان لأن البنات أفضل منهن لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم.

2- مما قدم النية به التأخير (تقديم على نية التأخير): ففي الإعراب هناك تقديم المفعول على الفاعل في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} <sup>3</sup> أي لفظة مقدم، ومعناه مؤخر، وهذان النوعان يكونون في آية واحدة.

3- ما قدم في آية وآخر في أخرى: من ذلك قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} وفي خاتمة الجاثية: {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} فتقديم (الحمد) في الأول جاء على الأصل والثاني على تقديم الجواب على نظيره من قبل: {لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} <sup>5</sup> ثم قال: {لِلَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}.

ومن أسباب التقديم:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور (ج3/1268).

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، 59.

<sup>3</sup> سورة فاطر، 28.

التبرك: أي تقديم اسم الله في الأمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }<sup>1</sup>.

والتعظيم: كقوله سبحانه: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا }<sup>2</sup>.

والتشريف: في قوله سبحانه: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }<sup>3</sup> حيث قدم الذكر لشرفه على الأنثى.

---

<sup>1</sup> سورة آل عمران، 18.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية 69.

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، 35.

خاتمة

## الخاتمة

و من خلال تناولنا لهذا الموضوع توصلنا الى نتائج أهمها:

- يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة، لأنه تضمن نقولاً غزيرة من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو والفقه وغيرها.

- وتضمن هذا الكتاب أيضاً إشارات حول نظرية النظم، حيث أشار على أن البلاغة عند العرب هي العدول عن الإطناب إلى الإيجاز، وعن الإيجاز إلى الإطناب، وعن التجنيس إلى الإطباق، والله تعالى أنزل القرآن على نظم هو في غاية الفصاحة عندهم كل ما تعارفوه واعتادوه، بلسان عربي مبين.

- جمع الجرجاني بين مذهبي البصريين والكوفيين وخلط بينهما، فقد كان من أنصار المدرسة الانتقائية، فيورد أحيانا مصطلحات البصريين وأحياناً أخرى مصطلحات الكوفيين، فهو لم يتعصب لمذهب معين، وكان يدافع عن النحو.

- الجرجاني في تفسيره لمعاني الخبر إنما كان يقصد تفسير معاني القرآن مبرزاً بذلك فصاحة القرآن مستعيناً بالحديث النبوي الشريف والشعر العربي والموروث القصصي وآراء الفقهاء ومذاهبهم.

- لقد تميز الجرجاني في تفسيره درج الدرر بتبينه أوجه البلاغة والفصاحة والإعجاز في الآيات الكريمة بعبارة موجزة مكثفة، مدعماً كلامه بالقرآن الكريم، أو الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف أو إدراج آراء العلماء، أو الشواهد الشعرية، القصص، الأمثال وغيرها. ومن خلال نظرية النظم تعددت أنواع علم المعاني مثل: الفصل والوصل، حروف العطف، التعريف والتنكير، التقديم والتأخير، التكرار وغيره.

مكتبة البحث

## \* القرآن الكريم برواية ورش \*.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أ. قائمة المصادر:

1. ابن الصائغ، اللوحة في شرح الملحة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. ط1. 2004م.
2. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4. 2010م.
3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية. 2008م.
4. ابن فارس، الصحاحي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، ط1- 1997م.
5. ابن فارس، مقياس اللغة، 1979م.
6. ابن كثير، المصباح المنير. 1436هـ.
7. أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، المجمع العلمي العربي - دمشق - 1957م.
8. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير. دار الفكر - بيروت - 1420هـ.
9. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب.
10. حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية. ط2. سنة 1994م.
11. السكاكي، مفتاح العلوم. ط2. 1987م.
12. سيويه، الكتاب الخانجي. ط3، 2014م.
13. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1974م.
14. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، جزء 1.
15. السيوطي، معترك الأوان في إعجاز القرآن، ص: 56.
16. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف - القاهرة - ط9. 1436هـ.
17. الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول. ط1. 2000م.

18. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مكتبة الخانجي. ط1. 19
19. عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1987م.
20. عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير أَلَاي والسور.
21. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، مجلد واحد 2008م.
22. العسكري، تصحيح الوجوه والنظائر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ط1. 2007م.
23. الفراء، معاني القرآن، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - ط1. 2010م.
24. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، قسطنطينية. ط1. 1302هـ.
25. محمد الخضري، أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى. 1969م.
26. محمد داود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار. ط1. 2007م.
27. المنذري، الترغيب والترهيب، دار الكتب العلمية. ط1، 2010م.

#### ب. قائمة المراجع:

28. ابن القاضي الفاروقي التهاوني. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مكتبة لبنان. ط1، 1996م.
29. أحمد البدوي، من بلاغة القرآن نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. 2005م.
30. أحمد بن محمد الأدنة، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم السعودية ط1، 1997م.
31. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات - الكويت - ط1 1973م.
32. بركلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط5، 1977م.
33. البغدادي، هدية العارفين، مؤسسة التاريخ العربي، اسطنبول 1951.
34. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، عام 1990م.
35. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، مجلد (1).

36. الدامغاني الحسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر. دار العلم للملايين. ط1 سنة 1983م.
37. الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية.
38. الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني الرسائل الثلاث في الإعجاز، دار المعارف بمصر، ط3.

39. شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ط12. 2001م.
40. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط1. 1960م.
41. الطبري، تفسير جامع البيان، مؤسسة الرسالة. ط1. 2000م.
42. عبد العال سالم مكرم. المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة.
43. علي بن شريف الجرجاني، التعريفات. دار الكتب العلمية بيروت. ط1، 1993م.
44. الغزالي، معيار العلم في ظن المنطق، دار المعارف - مصر - 1961م.
45. القاضي عياض، الشفاء، دار الكتب العلمية. ط1. 2001م.
46. مصطفى الدمشقي البايدي، اللطائف في اللغة. دار الفضيلة، 2001م.
47. مصطفى مسلم، مباحث في الإعجاز القرآني، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط2 1996م.
48. مقاتل بن سليمان البلخي. الوجوه والنظائر في التراث العظيم. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي - ط1. 2006م.

#### ج. المعاجم :

49. ابن الأنباري، الأضداد، المكتبة العصرية 1987م.
50. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت - 2010م.
51. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1. عام 2008م.
52. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار للملايين، ط4، 1990م.
53. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين - دار الكتب العلمية ط1 . 2003م.
54. الزبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت، 2008م.

#### د. المواقع الإلكترونية:

55. الموسوعة الشاملة ISLAMPORT.
56. موقع سؤال وجواب، الشيخ محمد المنجد [www.Islamiqa.info](http://www.Islamiqa.info)

# فهرس الموضوعات

|                                                                                        |    |
|----------------------------------------------------------------------------------------|----|
| 1. بسملة:                                                                              | 1  |
| 2. دعاء:                                                                               | 2  |
| 3. إهداء                                                                               | 3  |
| 4. مقدمة.....أ-و                                                                       | 4  |
| 5. مدخل:.....26-8                                                                      | 5  |
| 6. الفصل الأول: المنهج اللغوي و البياني في تفسير درج الدرر لعبدالقاهر الجرجاني.        | 6  |
| المبحث الاول: التفسير القرآني والدرس الإعجازي.....34-30                                |    |
| المبحث الثاني: كلمة في الكتاب (موضوع الدراسة).....46-36                                |    |
| المبحث الثالث: منهج الجرجاني في عرض مظاهر الإعجاز البياني في الكتاب.....68-48          |    |
| المبحث الرابع: مادة الإعجاز البياني في تفسير الجرجاني .....-70                         |    |
|                                                                                        | 82 |
| الفصل الثاني: تجليات التفسير اللغوي و البياني في كتاب درج الدرر(دراسة تطبيقية).        |    |
| المبحث الاول: نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز اللغوي86-94 |    |
| المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من اعتماد الجرجاني في تفسيره على مظاهر الإعجاز البلاغي    |    |
| (موضوعات بلاغية).....106-96                                                            |    |
| الخاتمة:.....108                                                                       |    |
| مكتبة البحث:.....112-110                                                               |    |
| فهرس الموضوعات.....114                                                                 |    |